

اجاثا كرستي



رعب في المدينة



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

- بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نَصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنَّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالَت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنَّ (الجريمة لا تفيد) وأنَّ الخير هو المنتصر في النهاية.

رعب في المدينة

Murder Is Easy

لم يكن «لوك فيتز ويليام» يصدق ما تزعمه الأنسة «بنكرتون» عن وجود سفاح في القرية الإنجليزية الهادئة ولم يصدق تخمينها في أن طبيب القرية محل اشتباه ! لم يصدق «لوك» تلك المزاعم التي رددتها الأنسة «بنكرتون»، ثم في خلال ساعات علم بمقتلها؛ إذ قام القاتل بطعنها وهرب في الحال. هل كان ذلك مجرد مصادفة ؟ كان «لوك» يظن ذلك حتى قرأ في صحيفة «التايمز» خبراً يقول: «وفاة الطبيب «هامبلباي» غير المتوقعة».

ثمن الكتاب

ISBN 995338178-X



9 789953 381787

قطر _____ 10 ريالات
عُمان _____ 1.5 ريال
مصر _____ 10 جنيهات
المغرب _____ 30 درهما
ليبيا _____ 5 دنانير
تونس _____ 4 دنانير
اليمن _____ 400 ريال

لبنان _____ 5000 ل.ل.
سوريا _____ 100 ل.س.
الأردن _____ 2 دينار
السعودية _____ 10 ريالات
الكويت _____ 1 دينار
الإمارات _____ 10 درهم
البحرين _____ 1.5 دينار

رعب في المدينة

برنارد الأسطه

يقدم
الرواية المعربة

رعب في المدينة
(45)

تأليف الكاتبة والادبية العالمية
أجاثا كريستي

تعريب الاديب
عمر عبد العزيز أمين

الناشر
دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الإدارة العامة والتوزيع
تليفون 00 961 9 212 666 فاكس 00 961 9 212 665
ص.ب 374 جونيه - لبنان
Email:info@inter-press.org www.inter-press.org

وكلاء التوزيع
المركز الدولي - دار البشير

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة مرئية أو صوتية... إلخ
إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

تأليف
Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية
Murder is Easy
(1939)

الغلاف بريشة الفنان
عبد العال

جميع حقوق الترجمة محفوظة لشركة دار ميوزيك للمصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
وذلك بموجب الإقرار والتنازل الموثق لدى وزارة العدل - مصلحة الشهر العقاري والتوثيق -
مكتب شمال القاهرة - توثيق مصر الجديدة - جمهورية مصر العربية - تحت رقم 2390 تاريخ 1985/06/16
ولا يحق لأي كان نشر أي قسم أو جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة كانت ...
إلا بعد أخذ موافقة خطية من الناشر

أخيراً "إنجلترا" .. ! بعد غيبة سنوات عديدة .. ترى هل ستروق لي بعد هذه الاعوام الطوال .. ؟ بهذا كان "لوك فيتز ويليام" يحدث نفسه وهو يهبط المعبر إلى رصيف الميناء .

إن "إنجلترا" لتبدو مختلفة تماماً لمن يقضي فيها عطلة يعود بعدها إلى مقر عمله . ولكنه اليوم قد جاء ليستقر ويبقى .

ها هو ذا الآن قد عاد إلى "إنجلترا" ، ليعيش على معاشه الذي يتلقاه من الدولة إلى جانب دخل صغير .

أخيراً "إنجلترا" .. "إنجلترا" في أحد أيام حزيران (يونيو) ، بسماؤها التي تغطيها السحب ، وبشوارعها التي يغشاها الضباب ومع ذلك فإنه يرحب بها سعيداً راضياً .. والناس .. يا إلهي .. ! إنهم حشود متكدسة ثم البيوت .. ! إنها تملأ كل مكان ، كأنما هي نبات شيطاني ينبثق من باطن الأرض .

كان هذا ما يدور بخلد "لوك فيتز ويليام" والقطار ينهب به الأرض .
وأشاح "لوك" ببصره عن المشاهد الطبيعية الرائعة التي تحف بجانبه القطار ، وتناول الصحف التي ابتاعها ، ليتصفحها ، وبدأ بالـ "ديلي كلاريون" .. وكانت أغلب صفحاتها تتناول بإفاضة الحديث عن سباق الـ "دربي" . وقال "لوك" وفي نفسه في شيء من الأسى : ألا ليتني حضرت بالأمس لأشاهد السباق ، فمئذ كنت في التاسعة عشرة لم أر الـ "دربي" .

لقد راهن قبل عودته وهو في النادي على أحد الخيول ، ليرى ما كتبه الصحيفة عن هذا الجواد .

قال الناقد الفني في ازدراء :

أما الجياد الأخرى مثل "جوجوب" و "مارك مايل" و "سانتوني"

و "جييري بوي" فهي جياد ضعيفة ولا أمل لها إطلاقاً في الفوز بالمراكز المتقدمة

وكان من سوء حظ "لوك" أنه راهن على الجواد "جوجوب"، الذي يرى الناقد الفني لصحيفة الـ "كلاريون" أنه لا أمل له في الفوز على الإطلاق .. وقال في نفسه : لقد فات الوقت وبدأ السباق ، ولا يمكن أن أعيد التذكرة .. وتناول الـ "تايمز" وانكب على قراءة أخبار أكثر جدية . وتابع القطار طريقه ، ثم ما لبث أن توقف في المحطة التالية . وتطلع "لوك" من النافذة ، ولمح على الكشك الذي يبيع الصحف لوحة تحمل هذا الإعلان .

(نتائج سباق الـ "دربي") .
"جوجوب" هو الأول " .

إذن فحصانه هو الذي فاز بالمركز الاول .. !

وهب "لوك" واقفاً ، وانطلق راكضاً إلى رصيف المحطة ليشتري صحيفة الـ "كلاريون" .

نشر الصحيفة ، وهو مازال واقفاً على رصيف المحطة ، وأخذ يتصفح الأنباء . "جوجوب" هو الذي فاز بالمركز الاول .. جواده هو الاول .. ! على الرغم مما قاله الناقد الفني لـ "كلاريون" .. ترى ما الذي يقوله الآن .. ؟

ها هو ذا يقول إن فوز هذا الجواد مفاجأة مذهلة لجميع النقاد . مفاجأة مذهلة لـ "لوك" نفسه ؛ إذ معنى ذلك أنه ربح مائة جنيه .

إنه إذن يستطيع أن يلهو ويمرح بهذه المائة جنيه التي جاءت على غير توقع . إنه يستطيع أن يبدها كيفما شاء ..

واستدار راجعاً إلى قطاره .. ولكن القطار لم يكن في موضعه عند الرصيف . لقد اختفى القطار ، ولم يعد له أثر .. تابع مسيرته دون أن يفطن له "لوك" ، وهو غارق في قراءة أنباء السباق .

وبادر إلى أحد الحمالين ، وقال يسأله :

- بحق السماء، أين ذهب القطار .. ١؟
فتطلع إليه الحمال العجوز وأجاب في تبلد :
- القطار .. أي قطار .. ؟
فقال "لوك" وفي نبرته شيء من الدهشة :
- منذ لحظات كان القطار واقفاً هنا ! قطار الميناء السريع .
وهز الحمال رأسه في استنكار وقال :
- إن قطار الميناء السريع لا يقف إلا في "لندن" .
- ولكنه وقف هنا منذ لحظات .. وأنا نفسي كنت راكباً فيه ، ونزلت لأشتري الصحف .
- ما كان ينبغي أن تنزل من القطار .. إنه لا يتوقف هنا .
- ولكنه توقف فعلاً .
- لم تكن " الإشارة " مفتوحة أمامه ليوصل طريقه ، فتوقف حتى يخلو له الطريق .
وقال " لوك " وقد ضاق صدره :
- إني بالتأكيد لا أفهم هذه المصطلحات الفنية .. إشارة .. إخلاء طريق .. المهم أن القطار توقف ، وأنتني نزلت منه ، فما العمل الآن .. ؟
فأجابه الحمال في لهجة من حل لغزاً عويصاً :
- يمكنك أن تسافر بقطار الساعة الرابعة وعشرين دقيقة .
- إذا كان قطار الساعة الرابعة وعشرين دقيقة يذهب إلى "لندن" فهو القطار الذي يصلح لي .
وأخيراً .. قبيل الساعة الرابعة وعشرين دقيقة بدقيقتين اثنتين وصل إلى محطة "فيني" قطار الساعة الرابعة وعشرين دقيقة .
وقال له الحمال العجوز وهو يشير إلى القطار :

— هذا هو قطارك .

كانت عربات الدرجة الثالثة مزدحمة ومكدسة ، أما عربات الدرجة الأولى فمكونة من ثلاث مقصورات ، كانت جميعها مشغولة بنفر من المسافرين .
وانتهى به الامر أخيراً إلى مقصورة ليس فيها إلا سيدة عجوز ذكرته بعمرته "ميلديد" التي كانت تحنو عليه في طفولته ، فلم يتردد في الدخول إلى المقصورة .
وبدأ القطار يتحرك متمهلاً ، ونشر "لوك" الصحيفة أمام عينيه ، ومضى يتصفح ما يعنيه من أنباء ..

كان يعلم أن السيدة لن تلبث أن تقطع عليه قراءته ، فما من سيدة عجوز تتركب قطاراً إلا وكانت راغبة في أن تثرثر مع من يشاطرها المقصورة .

ولم تلبث السيدة أن سأله أن يغلق النافذة ففعل ، ثم سأله أن يلتقط مظلتها التي انزلقت تحت المقعد ففعل ، ثم أنشأت تحدّثه عن القطار . قالت :
— هذا القطار يستغرق في الوصول إلى "لندن" ساعة وعشر دقائق فقط .. إنه أفضل ألف مرة من قطار الصباح الذي يستغرق ساعة إلا ثلثا .

ثم استطردت :

— إن الناس جميعاً يؤثرون قطار الصباح وكان في نيتي أن أستقله إلى "لندن" لولا أن "ووني" اختفت ، فاضطرت إلى أن أضيع وقتاً في البحث عنها حتى عثرت عليها ففاتني القطار ..
وكان "لوك" يستمع إلى حديثها ، ويومئ برأسه من حين لآخر ؛ تادباً ومجاملة .

وتابعت السيدة العجوز حديثها بقولها :

— "ووني" هي قطتي .. إنها قطة فارسية جميلة ، وبالتأكيد ... لا يمكن أن أسافر دون أن أجدّها .

فقال "لوك" وهو يرخي عينيه إلى صحيفته :

- بالتأكيد .. بالتأكيد ..

ولكنها لم تدعه يتم قراءته ، بل استطردت قائلة :

- من حسن الحظ أن هذا القطار ليس مزدحمًا ؛ فإنني أكره المقصورات المزدحمة .. إن من عادتي أن أركب عربات الدرجة الثالثة ، أما الدرجة الأولى فلا أقربها إلا نادرًا .

ثم سألته :

- ألا ترى أن ركوب الدرجة الأولى إسراف لا داعي له .. ؟
فأجاب مجاملًا :

- بدون شك إسراف لا داعي له . ولم تكف ، وإنما عاودت الحديث قائلة :
- إنني مسافرة إلى "لندن" في عمل مهم .. مهم جدًا . وأريد أن أفكر فيما ينبغي أن أقول ، وإذا ازدحمت المقصورة ، استعصى عليّ أن أفكر في هدوء .
فقال "لوك" تادبًا :

- هذا صحيح . ومضت السيدة العجوز تقول :

- إن الضباط يركبون الدرجة الأولى في أثناء عطلاتهم .. مجانًا بالتأكيد .. إنك ضابط فيما أرى .. ؟

فهز رأسه سلبًا وأجاب :

- كلا .. إنني جندي بسيط ولست ضابطًا .

- لقد لاحظت أن وجهك قد لوحته الشمس ، فحسبتك ضابطًا قادمًا من الشرق .

فأجابها "لوك" :

- أصبت في قولك . إنني قادم من الشرق ولكنني لست في عطلة .. إنني شرطي .

وهتفت المرأة في جذل واغتيباط :

– أنت شرطي .. يا لها من مصادفة عجيبة !
وأراد " لوك " أن يبادر فيدلي إليها بكل ما لديه من معلومات دون أن ينتظر
أسئلتها المتعاقبة ، حتى يفرغ منها ويعود إلى صحيفته .
فقال :

– شرطي في " مايانج " .
فعادت العجوز تردد :
– مصادفة عجيبة .. ! أعني سفرك في هذا القطار وجلسك في هذه المقصورة
بالذات دون غيرها .
واستطردت :

– أتدري أنني ذاهبة إلى " لندن " في شأن يخص الشرطة ؟ إنني ذاهبة الآن رأساً
إلى " اسكتلانديارد " .
فقال " لوك " وهو لا يبالي مثقال ذرة إن كانت ذاهبة إلى " اسكتلانديارد " أو إلى
المجحيم :

– حقاً .. ؟
وكان يقول في نفسه متبرماً وقد ضاق بها صدره : " أتراها ستستمر في حديثها
حتى نصل "لندن" أم أنها ستكف عن ثرثرتها" .
وقالت المرأة وقد حسبت أنه متلهف إلى سماع قصتها :
– ترى هل تغلق " اسكتلانديارد " أبوابها بعد الظهر ، فلا يعمل رجالها إلا في
فترة الصباح .. ؟
فقال " لوك " :

– أعتقد أن أبواب إدارة الشرطة مفتوحة باستمرار .. طوال الليل والنهار .
وقالت العجوز :
– أعتقد أنه من الصواب أن يلجأ المرء دائماً إلى كبار الرؤساء عندما يريد الإبلاغ

عن جريمة .

فرد " لوك " :

— هذا هو الصواب كما تقولين .

واستطردت المرأة :

— كان في وسعي — بالتأكيد — أن اذهب إلى " جون ريد " وأفضي إليه بما في نفسي ... ولكن " ريد " لا يصلح لمثل هذه المهمة .. إنه شرطي ريفي في بلدتنا كل عمله تحرير المخالفات للسيارات المسرعة ، أو للسكارى ، أو المشاجرات الخفيفة . أما جرائم القتل فلا شأن له بها ولا يصلح لها .

قال " لوك " متسائلاً في دهشة :

— جرائم القتل .. ؟ !

وأومات العجوز برأسها في حماس وقالت :

— نعم .. جرائم قتل .. ! إنك دهشت فيما أرى ، وأنا نفسي ذهلت في بداية الأمر ، وكذبت نفسي .. لقد ظننت أنني أتخيل أشياء لا وجود لها .

فقال لها " لوك " في رقة ودعة :

— أموقنة أنت من أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد تخيل منك .. ؟

فهزت رأسها سلباً في يقين ، وقالت :

— كلا ، كلا .. كان يمكن أن أكون واهمة عند وقوع الجريمة الأولى ، أما عند

وقوع الجريمة الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، فكيف أكون واهمة .. ؟

فسألها " لوك " وقد استبد به الاستغراب :

— أتريد أن أقول إن وقعت في بلدتك أربع جرائم قتل .. ؟ إذن فهو قتل

بالجملة .. ؟

فأجابته العجوز في صوت هادئ النبرات :

— تماماً .. إنها جرائم بالجملة .

ثم استطردت :

ولهذا رأيت من الصواب أن أتجه مباشرة إلى "اسكتلانديارد" دون أن ألتجئ إلى رجال الشرطة المحليين .. ألا ترى أن هذا خير ما أفعل .. ؟
فأجابها "لوك" :

- أعتقد أن هذا تصرف حكيم منك .

وقال في نفسه : "لشد ما يشط الخيال بالسيدات المتقدّمات في السن .. "

وانتزعه من خواطره صوت العجوز وهي تقول :

- إنني أذكر أنني قرأت يوماً عن الجرائم التي ارتكبتها "أبيير كرومبي" .. لقد

قتل بالسم عدداً كبيراً من الأشخاص ، قبل أن تتطرق إليه الشبهات ..

قالوا إنه كان يكفي أن ينظر إلى شخص آخر نظرة معينة ، فإذا بهذا الشخص يمرض بعد هذه النظرة بفترة وجيزة .

ولما رأت "لوك" يتطلع إليها بعينين يتجلى فيهما الاستنكار وعدم التصديق قالت :

- إنني نفسي لم أصدق مسألة "العين" عندما قرأت هذا الكلام .. ولكنه أمر حقيقي .

فسألها "لوك" :

- ما هذا الشيء الحقيقي .. ؟

- "العين" بالتأكيد .. إنها تستطيع أن تقتل .

وحملق إليها "لوك" مشدوهاً ، فرآها ترتعد ، وقد غاضت الدماء من وجنتيها ..

واستطردت العجوز وفي صوتها نبرة من الرعدة :

- حدث هذا أول الأمر مع "إيمي جيبس" وماتت ، ثم مع "كارتر" ومات

أيضاً ، وبعدئذ مع "تومي بيرس" .. أما الآن ، أعني بالأمس ، فقد حل الدور

على الدكتور "هامبلباي" . وهو رجل طيب ، ولا ينبغي أن يموت .. إنه يحب

الأطفال ويحنو عليهم ، ويعالج الفقراء مجاناً . أما " كارتير " فكان سكيراً مدمناً للشراب ، و " تومي بيرس " كان شاباً وقحاً مشاكساً ، فلم أشعر بأسى لموتهما .. أما الدكتور " هامبيلباي " فأمره مختلف تماماً .. ولذلك رأيت أن أبادر إلى إنقاذه والمشكلة أنني إذا ذهبت إليه وكشفت له عما بنفسي ، فسوف يرمني بأني امرأة مخرفة ، أتوهم أشياء لا أثر لها من الحقيقة .. وكذلك سوف يفعل الشرطي " جون ريد " ، فإنه لا خبرة له بالجرائم أما رجال " اسكتلانديارد " فمرت بهم تجارب عديدة .

وتطلعت من النافذة واهتفت :

— أوه ! إن القطار يوشك أن يصل إلى " لندن " . وهمت بجمع حاجاتها ومظلتها، وعاونها " لوك " في الأمر ، فشكرته وقالت :

— شكراً لك على أنك استمعت إلى حديثي .. إنني ذاهبة الآن من فوري إلى " اسكتلانديارد " .

واستطردت وهي تفتح حقيبتها وتبحث فيها :

— يؤسفني أنه ليس معي إلا بطاقة تعريف واحدة يجب أن أحتفظ بها لرجال " اسكتلانديارد " .. إن اسمي على أية حال هو " بنكرتون " .

فانحنى " لوك " أمامها تحية وهو يقول :

— أما أنا فاسمي " لوك فيتز ويليام " .

ثم أردف :

— أتريد أن أstdعي لك سيارة أجرة .. ؟

فأجابته في لهجة عتاب ولوم :

— ولم هذا الإسراف .. ؟ سوف أstdقل المترو إلى ميدان " ترافالجار " ثم أسير

بقية المسافة .

فقال لها :

– أتمنى لك التوفيق . فردت بقولها :
– لقد خيل إليّ في البداية أنك لم تصدق أية كلمة مما قلت . وأنت محق في هذا ما دام الأمر متعلقاً بجرائم متعددة . ولكنني أحب أن أؤكد لك أن القتل من أسهل الأمور ، خاصة إذا كان القاتل هو أبعد الناس عن الشبهة .
قال في نفسه : " لا أعتقد أنها امرأة مخبولة .. كل ما في الأمر أن الخيال جمع بها " .

- 2 -

كان " جيمي لوريمير " من أعز أصدقاء " فيتز ويليام " ، فكان من المؤكد أن ينزل في مسكنه فور وصوله .
وفي صباح اليوم التالي جلس الصديقان يحتسيان القهوة وقد فرغا من تناول الفطور . وتوجه " جيمي " إلى صديقه بسؤال ما ، ولكن " لوك " لم يرد عليه ؛ إذ كان ذهنه شاردًا منصرفًا كل الانصراف إلى خبر في الصحيفة التي بين يديه .

وعاد " جيمي " يسأله في صوت أعلى نبرة :

– ما الذي يشغلك يا " لوك " .. ؟

وابتسم " لوك " ابتسامة واهنة وأجاب :

– إنها سيدة عجوز شاطرتني مقصورتني في القطار بالأمس . لقد نشرت الصحيفة خبراً عنها .. دهمتها سيارة وهي تعبر الطريق ، فماتت لساعتها، وفر السائق هارباً .

– وكيف لك أن تعرف أنها نفس السيدة ؟

– من المحتمل أن تكون امرأة أخرى .. ولكنها تدعى " بنكرتون " على أية حال .

فقال " جيمي " :

- مسكينة ..

وذات صباح - و " لوك " يطالع صحيفة الـ "تايمز" - لم يملك إلا أن أرسل شهقة عالية . وتحول إليه " جيمي " يساله :

- لمَ شهقت .. ؟ أي شيء في الـ "تايمز" أدهشك . ؟

وكان " لوك " يحملق إلى الصحيفة ، وبصره مستقر على سطر معين فيها .

ورفع " لوك " بصره عن الصحيفة ، وتطلع إلى صديقه برهة صامتاً لا يتفوه بشيء ، و " جيمي " يتامله في دهشة وقال " لوك " :

- أذكرك يا " صديقي " أنني حدثتك عن سيدة عجوز شاطرني مقصورة القطار يوم وصولي .

فاجاب " جيمي :

- السيدة التي دهمتها سيارة .

- تماماً .. لقد حدثتني هذه السيدة في أثناء مسيرة القطار عن اعتزامها الذهاب

إلى " اسكتلانديارد " لتفضي إليهم بما اكتشفته عن ارتكاب جرائم قتل بالجملة في قريتها .. لقد قالت لي إن في قريتها قاتلاً طليقاً .

- إذن فهي امرأة مخبولة دون شك .. طالما تتحدث عن جرائم قتل بالجملة .

- لا أعتقد هذا ، وإنما خُيِّل إليّ أنها امرأة مغرقة في الوهم يشط خيالها . والآن

أرى أنها كانت على حق .

فضحك " جيمي " وقال في سخرية :

- إذن فانت أيضاً أصبحت مخرفاً .. ؟

- استمع إليّ أولاً .. لقد ذكرت في حديثها معي اسم شخص أو شخصين من

الضحايا ، ثم أشارت إلى اسم الضحية الثالثة التي تتوقع لها أن تقتل . ولقد مات الرجل الذي توقعت العجوز أنه سيقتل .

— حقًا .. ؟ ومن يكون هذا الرجل .. ؟

ودفع "لوك" إلى صديقه بصحيفة الـ "تايمز" ، وهو يشير إلى أحد السطور . وقرا "جيمي" الخبر الذي أشار إليه "لوك" وكان هذا نصه :
" في يوم 13 حزيران (يونيه) مات فجأة في مسكنه في "ساند جيت" في "آش" الدكتور "إدوارد هامبلبي" ، وهو زوج السيدة "جيسي روز هامبلبي" .

وستشيع الجنازة يوم الجمعة .

وقال "لوك" :

— أرايت يا "جيمي" .. نفس الاسم .. ونفس المكان ..

— لا شيء أكثر من أن الأمر مجرد مصادفة .

— كل هذه الأحداث مجتمعة لا يمكن أن تكون مصادفة .

واستطرد "لوك" يقول وهو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً :

— لنفترض أن ما أفضت إليّ به هذه العجوز لم يكن أوهاماً أو تخيلات ولنفترض أنها كانت صادقة .

— أتراك أنت أيضا أصبحت مخرفاً ؟ ألا يمكن أن تنسى أنك كنت شرطياً ؟

فقال "لوك" ضاحكاً :

— من كان شرطياً في يوم من الأيام يظل شرطياً طوال حياته . والآن استمع إليّ ..
هذه العجوز حدثتني بأن في بلدتها قاتلاً مجهولاً قتل ثلاثاً من الضحايا دون أن يشتبه فيه أحد ، ثم قالت إن الدور حل الآن على الدكتور "هامبلبي" ، وفعلاً مات الطبيب فجأة بعد أيام .. والسيدة "بنكروتون" كانت ذاهبة إلى "اسكتلانديارد" للإبلاغ عن هذه الجرائم ، وفيما هي تعبر الطريق دهمتها سيارة قضت عليها لساعتها ، ولكن السائق فر هارباً . أي من المحتمل أنه دهمها عمداً ليحول دونها والاتصال بالشرطة .

فتساءل " جيمي " :

– وما يدريك أن السيارة دهمتها قبل أن تزور "اسكتلانديارد" .

– أغلب ظني أنها قتلت قبل الاتصال بالشرطة .

فتساءل " جيمي " :

– ما الذي تريد أن تنتهي إليه .. ؟

– ما أريد أن أقوله هو أن هذه الوقائع تحتاج إلى مزيد من التحريات لبيان حقيقتها الكامنة .

– لعلك تريد أن تقول إنك ستلجأ إلى "اسكتلانديارد" للقيام بهذه التحريات .

– كلا يا صاح .. وإنما أردت أن أقول إنني أنا نفسي سأتولى هذه التحريات .. سأذهب بنفسي إلى مسرح هذه الأحداث، لأتبين الحقيقة . وحملق إليه " جيمي " في دهشة واستغراب وقال :

– ولكن أليدك خطة معينة .. ؟ أعني أنه يجب أن تلمس حجة تقنع بها الناس بضرورة وجودك في مثل هذه البلدة الصغيرة ، وإلا اشتبه القاتل في أمرك .

– هذا صحيح .. فلو أنني كنت رساماً لزعمت أنني جئت أرسم بعض المشاهد الطبيعية .

واستطرد " لوك " :

– هل أقول إنني مؤلف يريد أن يخلو بنفسه ليضع كتاباً .. ؟ هل أقول إنني أبحث عن بيت ريفي أشتريه لأقيم فيه بعد إحالتي إلى المعاش .. ؟

وهتف " جيمي " في ابتهاج وهو يطرقع بأصابعه :

– انتظر .. لقد وجدت الحل .. وسيكون الأمر هيناً سهلاً .

وتطلع إليه " لوك " يحدوه الأمل .

واستطرد " جيمي " :

- إن لي ابنة عم تقيم في " آش " أي بنفس البلدة .. فيمكنك أن تقيم في بيتها، زاعماً أنك ابن عم لها ، وسأبعث إليها بخطاب في هذا الشأن .
كان " لوك " يصغي إلى " جيمي " في انتباه وهو يتابع الحديث .
- ابنة عمي تدعى " بريدجيت كونواي " و في خلال العامين السابقين كانت تعمل سكرتيرة للورد " هويتفيلد " .

- صاحب المجلات الأسبوعية التي تصدر في الأرياف .. ؟
- تماماً .. هو بعينه ، و " آش " هي البلدة التي ولد فيها، ولما كان رجلاً مغروراً ومولعاً بالتباهي ، فقد اتخذ من موطنه الأصلي مقاماً له؛ لكي يري أصحابه الذين نشأ بينهم مغموراً، أنه أصبح غنياً . وقد استطاعت " بريدجيت " أن توقعه في شباكها ، فأصبحت خطيبته .

- وهل في القرية فندق يمكن أن أقيم فيه .. ؟
- بل إنك ستقيم في قصر اللورد " هويتفيلد " نفسه - فابنة عمي تقيم في نفس القصر - على أنك ابن عمها .

- ولكن ما الحجة التي سأذرع بها للإقامة في هذه القرية .. ؟
- يمكنك أن تزعم أنك تضع كتاباً عن العادات والتقاليد القديمة وعن الأعمال السحرية في " إنجلترا " ، فلقد كانت " آش " في يوم من الأيام هي مقر الاجتماع السنوي الذي يعقده السحرة .
- الحق أنك هونت عليّ الأمر .

- خدمة تافهة أؤديها لصديق عزيز اختل عقله، فتوهم أن الأوهام التي حدثته عنها السيدة " بنكرتون " حقائق قاطعة .
فضحك " لوك " وقال :

- ما يدريك أن هذا الذي تسميه وهماً قد ينقلب فعلاً حقيقة قاطعة . إنني

مازلت أذكر آخر عبارة نطقت بها السيدة " بنكرتون " وهي تودعني منصرفة : " إن القتل أمر سهل .. سهل جداً " .
وسوف نرى إن كان سهلاً أم صعباً عويصاً .

- 3 -

كانت الشمس تغمر الأرض بأشعتها المتوهجة حين وصل " لوك فيتز ويليام " إلى قرية " آش " في سيارته العتيقة التي اشتراها خصيصاً لهذه الرحلة .
ورأى فندقاً صغيراً باسم " فندق الأجراس " ثم مربيئاً عتيق من الطراز القديم ، ببابه لوحة تدل على أنه مقر المكتبة والمتحف . ويقوم بعده مبنى عصري ، وعرف " لوك " من اللوحة التي تعلوه أنه مقر المعهد ونادي الشبان . فتوقف عنده ، واستفسر عن قصر اللورد " هويتفيلد " ، فأرشدوه إليه .
وتابع " لوك " طريقه إلى القصر ، وتبينه بسهولة .. فأوقف سيارته أمام البوابة ونزل منها . وفجأة برزت إليه من داخل الحديقة فتاة جميلة ، سوداء الشعر ، تشع عيناها ذكاء ، وكانت طويلة القامة ذات قوام متناسق جميل .
ابتدرته الفتاة قائلة :

- لا شك في أنك السيد " لوك فيتز ويليام " .. ؟ إنني " بريدجيت كونيواي " . وتناول " لوك " بين كفيه اليد التي بسطتها إليه ، وشد عليها بحرارة .
وقال لها " لوك " في لهجة رقيقة :

- يؤسفني أن أفرض عليك نفسي ، ولكن " جيمي " أكد لي أنه لن يضيرك أن تستضيفيني بضعة أيام .

فقال الفتاة في نبرة مرحة بسيطة :

- بل إننا سعداء باستقبالك .. أعني أنا واللورد " هويتفيلد " .

وارتسمت على شفيتها ابتسامة خفيفة واستطردت :

- إنني و " جيمي " متضامنان دائماً ، لا يرفض احدهنا للآخر مطلباً .. وإذا كنت بسبيل تأليف كتاب عن السحر والتقاليد الشعبية ، فـ " آش " أنسب مكان لهذا الغرض ، ففيها كل أنواع الأساطير ، فقد كانت في يوم من الأيام مقراً لجميع سحرة "إنجلترا" ، يمارسون فيها الاعيهم وشعوذتهم . فعقب " لوك " في ابتهاج :
- هذا ما كنت أنشده .

وصحبته الفتاة إلى البيت ، وجعل يتأملها خلصة وهما يسيران معاً ، جنباً إلى جنب .

إنها أجمل مما تصور في بداية اللقاء ، وهي دون شك في الثامنة والعشرين من عمرها ، ويبدو أنها شديدة الذكاء .

ومضت به " بريدجيت كونواي " إلى قاعة كبيرة ، في ركن قصي منها مائدة صفت عليها أواني الشاي ، وإليها يجلس رجل وسيدة يتبادلان الحديث .
وقالت الفتاة :

- " جوردون " .. هذا هو " لوك فيتز ويليام " أحد أبناء عمومتي .
ورفع اللورد " هويتفيلد " بصره إلى ضيفه مرحباً .

- إنني سعيد بمقابلتك .. إنك قادم لتوك من بلاد الشرق كما بلغني .. ؟ لقد أخبرتني " بريدجيت " أنك تؤلف كتاباً في هذه الأيام ، فارجو لك التوفيق .
وتحولت الفتاة إلى السيدة الجلاسة مع اللورد وقالت :
- هذه هي عمتي السيدة "انستروذو " .

وصافح " لوك " السيدة الكهلة ذات النظرات البلهاء ، وعلم " لوك " فيما بعد أن السيدة " انستروذو " مولعة بفلاحة البساتين ، وأنه لا حديث لها إلا عن زراعة الحدائق ، فهو الحديث الوحيد الذي يروق لها .

وعادت العمة الكهلة تتم حديثها مع اللورد بقولها :

- أتعرف يا " جوردون " أن أنسب مكان لزراعة الزهرة الصخرية هو الموضع

الملاصق تماماً لحوض الورد الأحمر .

وتراخى اللورد " هويتفيلد " في مقعده الوثير وهو يقول :

- يمكنك أن تتفقي في كل هذه الأمور مع " بريدجيت " .

فانبرت الفتاة تقول في لهجة مهذبة :

- الزهرة الصخرية لا تلائم ذوقك يا " جوردون " ، فإنها صغيرة الحجم ، وأنت

لا تحب من الأزهار إلا ما كان كبيراً ضخماً .

وصبت " بريدجيت " قدحاً من الشاي قدمته إلى " لوك " ، في حين قال اللورد

" هويتفيلد " :

- إنك على حق ، فإنني لا أحب إلا الأزهار الضخمة . بيد أن السيدة

" أنستروذو " تابعت الحديث دون أن تهتم بهذه الاعتراضات ، مصرة على زراعة

الزهرة الصخرية بجانب الورد الأحمر . ولم تهتم " بريدجيت " بأن تعترض مرة

أخرى على رأي عمتها ، في حين تحول " هويتفيلد " إلى " لوك " ليغير مجرى

الحديث قائلاً :

- إذن فمهنتك هي الكتابة وتأليف الكتب . . طالما راودتني أنا نفس الرغبة في

أن أؤلف كتاباً ولكنني لم أفعل ؛ فلا وقت لدي لمثل هذا العمل .

فقال " لوك " مجاملاً :

- لا شك في هذا ، فإنك تتولى أعمالاً ضخمة متشعبة .

- صدقت ... إنك لا يمكن أن تتصور مدى الأعباء التي تثقل كاهلي ، فإنني

أعرف أن ما تكتبه صحفي ومجلاتي ينطبع في ذهن الجماهير التي لا تلبث أن

تبنى أفكارني ، وهذه مسؤولية جسيمة تجاه الرأي العام .

فقالت " بريدجيت " تثني على اللورد :

- إنك في الحق لرجل عظيم يا " جوردون " .

- إنني فعلاً رجل عظيم .

والتفت اللورد إلى ضيفه قائلاً :

– أتعرف أحداً في هذه الناحية يا ترى .. ؟

واغتنم " لوك " هذا السؤال فرصة لكي يبدأ المهمة التي جاء من أجلها فقال :

– إنني أعرف على الأقل صديقاً واحداً، وفي نيتي أن أزوره ... إنه الدكتور

" هامبلباي " . فقال اللورد " هويتفيلد " وهو يعتدل في مقعده :

– يؤسفني أن أخبرك أنه مات منذ أسبوع .

فقال " لوك " متظاهراً بالأسى :

– حقاً ... ؟ هذا شيء محزن ..

فقال اللورد :

– لقد كان – على أية حال – رجلاً سخيّاً، عنيد الرأي، أحمق التفكير .

فانبرت " بريدجيت " تقول وهي تبتسم :

– هذا معناه أن الدكتور " هامبلباي " لم يكن يشاطر " جوردون " آراءه .

فقال اللورد :

– لقد اختلفنا في الرأي بشأن مرفق المياه .. إنني يا سيد " فيتزر ويليام " رجل

أحب أهل هذه القرية وأحرص على مصالحتهم ، فقد ولدت في هذه القرية ، فهي

أثيرة عندي ، حبيبة إلى قلبي .

واستطرد اللورد :

إنني لا أخجل من الانتساب إليها ، ولا أتبرأ من منشئي .. كان أبي صاحب

حانوت لبيع الأحذية، أما أنا فكنت أعمل في دكان لمسح الأحذية . أما الآن فأنا

اللورد " هويتفيلد " .

وانبرى اللورد يسهب في الحديث عن صباه وعن كفاحه وعما فعله حتى بلغ هذه

المرتبة الرفيعة .

واستطرد يقول :

– عندما اشتريت هذا القصر عهدت إلى أحد المهندسين بإصلاحه ، فأراد أن يضيفي عليه مساحة عصرية حديثة ، ولكنني أبيت في إصرار ، فقد كنت طوال عمري تواقاً إلى سكني إحدى القلاع . وطردت هذا المهندس ، وجئت بغيره ، إلى أن وقعت على مهندس أدرك ما أبغي ، فرم القصر دون أن يغير طابعه .. إنني رجل أعرف كيف أحقق رغباتي .

فقلت " بريديجيت " تذكره :

– ولكنك عجزت عن أن تحقق رغبتك بشأن مرفق المياه في القرية .

فقال " لوك " :

– يبدو أن الدكتور " هامبلباي " كان رجلاً صريحاً، مما خلق له – فيما أتصور – كثيراً من الأعداء .

فرد اللورد بسرعة قائلاً :

– لا أظن ذلك .. ولكن ما رأيك أنت يا " بريديجيت " ؟

فأجابت الفتاة :

– الذي أعرفه أن الدكتور " هامبلباي " كان محبوباً من الناس جميعاً .

فقال اللورد :

– تماماً... إنه كان محبوباً على وجه العموم .. وإن كنت أعرف أن هناك شخصاً أو شخصين على الأقل كانا يمقتانه .. إنهما من نفس طرازه .. عنيدان أحماق .

فتساءل " لوك " :

– وهذان الشخصان يقيمان هنا .. ؟

وأوماً اللورد برأسه إيجاباً وهو يقول :

– إن في هذه القرية على الرغم من صغرها عدة جماعات متنازعة يستحكم بينها الخلاف .

وقال " لوك " متسائلاً في شيء من التردد :

— ما طراز الناس الذين يقيمون في هذه القرية ؟

فأجاب اللورد :

— إنهم جميعاً — تقريباً — من الطراز القديم : رجال الدين وأسرهم من بنات وأخوات وزوجات إن النساء هنا ستة أضعاف الرجال . ومن هؤلاء السيد "أبوت" المحامي ، والدكتور "توماس" الطبيب الشاب وشريك الدكتور "هامبلباي" ، والسيد "ويك" راعي الكنيسة ، ثم السيد "الزويرثي" بائع التحف وهو رجل غاية في الرقة والمجاملة ، وأيضاً النقيب "هورتون" وكلابه البولدوج .

وقال "لوك" :

— أظن أن بعض أصدقائي حدثوني عن سيدة ثرثرة تعيش في هذه القرية وتدعى فيما أذكر السيدة "بنكرتون" .

فانبرت "بريدجيت" تقول :

— إن نصف نساء هذه القرية شغوفات بالقليل و القال .

وقال اللورد :

— إن حظك سيئ هذه المرة أيضاً ، فقد دهمتها سيارة في "لندن" فماتت في الحال .

فقال "لوك" :

— أوه ! يبدو أن هذه القرية منكوبة بالكثير من الوفيات .

فقال اللورد :

— بالعكس .. إنها قرية صحية .. أما الموت نتيجة حادث فشيء مختلف .

فقالت "بريدجيت" :

— ألا تذكر يا "جوردون" أنه كانت هناك وفيات في العام الماضي .. ؟

فتساءل "لوك" :

وهل مات الدكتور "هامبلباي" نتيجة حادث أيضاً .. ؟

— لا ، وإنما مات متسماً من خدش بمسمار صدئ .

فقالت "بريدجيت" .

— حتى الأطباء يموتون شأن غيرهم من الناس ... مسكينة زوجته ... لقد كانت

وفاته صدمة مفاجئة لها .

- 4 -

عندما هبط "لوك" إلى قاعة المائدة في ذلك الصباح ليتناول فطوره كان قد تدبر خطته تماماً . ولم تكن العمة الشغوفة بفلاحة البساتين موجودة ، أما اللورد "هويتفيلد" فكان يحتسي قهوته ، في حين كانت "بريدجيت" عند النافذة تتطلع منها .

وجلس "لوك" يتناول فطوره ثم قال :

— أظن أنه يجب أن أبدأ اليوم في العمل .

ثم مالبث أن أردف وهو يهز كتفيه متبرماً :

— الصعوبة التي ستواجهني هي كيف أحمل الناس على الكلام ، فالمرء عندما

يسأل يحاول دائماً أن يكون كتوماً متحفظاً ، ولكنه يكون صريحاً ولا يكتم شيئاً

إن سئل عن الحرافات .. فهو يقول كل ما يعرف .

فقال "هويتفيلد" :

— أصبت ... السبب في هذا هو الجهل وعدم التثقيف .. ترى هل أخبرتك

أنني تبرعت للقريبة بمكتبة رائعة ، تعد من أكبر المكتبات الريفية .

وخشي "لوك" أن يتحول الحديث إلى هبات "هويتفيلد" وتبرعاته ، وأسرع

يقول :

— أظن أنه يحسن بي أن أبدأ أبحاثي بدراسة كل ما يتعلق بالموت .. أعني

طقوس الموت وتقاليد الجنائز ونحو ذلك .

فقالت "بريدجيت" وهي مازالت عند النافذة تطل منها :

– إن أهل القرى يستمتعون بالجنائز و بالتحدث عنها .

– إذن فلا بدأ .. من هذه النقطة . ترى هل يمكن أن أحصل من الأبرشية على

قائمة بأسماء الموتى الذين قضوا نحبهم في الفترة الأخيرة ، وبعدها ألتقي بأقاربهم .

فقالت "بريدجيت" :

– إن القس السيد "ويك" سيكون سعيداً بأن يمدك بما تشاء من معلومات .

– إذن فلا بد لي من مقابلته .. ولكن هل لك أن تذكر لي أسماء من ماتوا في

قريتكم خلال هذه السنة ؟

فتريثت "بريدجيت" برهة تفكر ، ثم قالت :

– إليك الأسماء التي تعيها ذاكرتي .. "كارتر" مثلاً ... لقد كان صاحب

الحانة الواقعة على النهر . وانبرى اللورد "هويتفيلد" قائلاً :

– وهو عاق سكير ، كما أنه اشتراكى لعين من الطراز المشاكس .

وعادت "بريدجيت" إلى الحديث قائلة :

– ولدينا أيضاً السيدة "روز" صاحبة حانوت غسل الثياب ، ثم "تومي بيرس"

الصبي .. وهو سيئ الخلق لا يحبه أحد ... ثم الفتاة "إيمي جيبس" .

وتغيرت نبرة صوتها قليلاً وهي تنطق بهذا الاسم .

ثم استطردت :

كانت وصيفة في القصر هنا ، ثم انتقلت إلى خدمة الآنسة "وينفليت" ، وقد

أجري تحقيق بشأن موتها .

فتساءل "لوك" :

وما السبب .. ؟

فقال اللورد "هويتفيلد" :

– لقد تناولت خطأ في الظلام جرعة من مادة سامة .
فقالت "بريدجيت" :

– لقد ظننتها زجاجة دواء السعال على حين كان بالزجاجة سائل لطلاء القبعات .
فتساءل "لوك" :

– أتراها أرادت أن تنتحر .. ؟

– هذا ما تبادر إلى الذهن في بداية الأمر ، فقد قام نزاع بينها وبين شاب كانت تهواه .

ولم يرغب عن "لوك" أن "بريدجيت" وهي تتحدث عن "إيمي جيبس" كانت لا تتكلم إلا بعد ترو وتفكير .

وتذكر أيضاً أن السيدة "بنكوتون" ذكرت له هذا الاسم في أثناء حديثهما في القطار . كما أشارت أيضاً إلى اسم ذلك الصبي المدعو "تومي بيرس" . وخيل إليه أنها رددت أيضاً في حديثها اسم "كارتر" .

وأراد "لوك" أن يكون متحفظاً في تحرياته؛ حتى لا يشير الشبهات فقال :

– إن الحديث عن الاموات يجعلني أشعر كأني أنبش القبور . فلنتحدث الآن عن عادات الزواج .
واستطرد :

– وثمة موضوع آخر له عندي أهمية كبيرة ... أعني البيوت العتيقة التي تسكنها الأشباح .

فقال اللورد "هويتفيلد" :

– لم يبلغني قط أن في القرية بيوتاً مسكونة ..
وقال "لوك" :

– يحسن بي أن أبادر إلى مقابلة القس .

وابتعدت "بريدجيت" عن النافذة وهي تقول :

- يحسن بي أن أصحبك ، فهل لديك مانع ؟ .

وكان لابد أن يجيب :

- كلا بالتأكيد .

- أرجو أن تنتظرني دقائق ريثما أبدل ثيابي .

ولكنه في صميم قلبه كان يؤثر أن يذهب على انفراد ، فإن "بريدجيت" على حظ موفور من الذكاء ، ومن المحتمل جداً أن تكتشف من خلال حديثه أن له هدفاً

آخر يسعى وراءه خلاف تأليف الكتاب المزعوم .

وبعد فترة كانا يغادران البيت معاً وهي تقول :

- أعتقد أنك كنت في حاجة إليّ لأرشدك إلى الطريق .

وخيل إليه وهي تردد هذه الكلمات أن ابتسامة متhekمة كانت تتلاعب على شفيتها .

وأدار "لوك" رأسه يتطلع إلى البيت الذي غادره منذ لحظات وقال :

- لقد فهمت من صديقي "جيمي" أن هذا القصر كان ملكاً لاسرتكم ،

فهل يروقك ما فعله به اللورد "هويتفيلد" بأن حوّل واجهته إلى ما يشبه القلعة .. ؟

فضحكت الفتاة في مرح وقالت :

- يبدو أنه لابد لي أن أخيب ظنك ، ولذلك يجب أن أقول إنني غادرت هذا

القصر وأنا في الثانية من عمري ، ولهذا لا أذكر عنه شيئاً ، ولا يعنيني في شيء أن

يصبح قلعة أثرية أو مبنى على الطراز الحديث .

ما هي إلا دقائق حتى كانا في حضرة القس .

وقالت "بريدجيت" تخاطب السيد "ويك" :

- إن السيد "فيتز ويليام" مقيم عندنا في قصر اللورد "هويتفيلد" وهو يمت إليّ

بصلة من القرابة ، ويريد أن يستطلع رأيك في كتاب ينوي أن يؤلفه .

ورحب القس بزائره ، وشرح له "لوك" موضوع الكتاب المزعوم ، وأخذ القس يتحدث عن الحرافات القديمة، وعن الطقوس السحرية التي اشتهرت بها هذه القرية ، وعن المؤتمرات التي كان يعقدها السحرة في البلدة كل عام .

فلما أتى على ما في جعبته أخذ "لوك" يسأله عمن ماتوا في الأشهر الأخيرة ، وعن الطقوس المختلفة المتبعة في الجنازات ، وقال :

- لقد طلبت إلى الآنسة "كونواي" بياناً بأسماء من ماتوا خلال السنة الماضية، وأحسب أنك أنت الذي تستطيع أن تمدني ببيان أوفى وأشمل .

فاجاب القس :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .. لقد مات كثيرون في السنة الماضية .. أكثر من المألوف، فقد كان الشتاء قارس البرودة، فضلاً عن وقوع بعض مיתات نتيجة لحوادث وقعت قضاء وقدرًا .

قال "لوك" :

- في بعض الأحيان ينسب الناس الشرور التي تقع على غير المألوف إلى وجود أرواح شريرة، أو إلى وجود شخص له طابع مشؤوم .

فقال القس :

- هذا صحيح .. ولكنني لا أظن أنه كان في البلدة غرباء في تلك الأشهر .

وتريث القس برهة مفكراً ، ثم قال :

- كان الدكتور "هامبلباي" هو آخر الموتى في قريتنا . وقبل ذلك بأسبوع تقريباً ماتت المسكينة "بنكروتون" إنها امرأة طيبة . كما أن الدكتور "هامبلباي" كان محبوباً من أهل البلدة .

فقال "لوك" :

- ولكن لا بد أنه كان له أعداء على أية حال .. هذا ما سمعته من بعض الأصدقاء .

فتنهذ القس وقال في نبرة حزينة :

- عيبه عند بعض الناس انه كان رجلاً صريحاً ، لا يتردد في الإفشاء بما يدور في دخيلة نفسه دون مجاملة .
وقال " لوك " :

- إنني لا أملك إلا أن أفكر في أن موت بعض الناس يؤدي إلى كسب يحزره الآخرون ، ولست أعني بهذا الناحية المالية فقط ، أي الإرث والميراث .
- إنني أدرك ما ترمي إليه يا سيد " فيتز ويليام " . ويمكنني أن أشير في هذه المناسبة إلى أن وفاة الدكتور " هامبلباي " عادت بالنفع على زميله الدكتور " توماس " .

فتساءل " لوك " :

- وكيف ذلك ؟
- إن الدكتور " توماس " طبيب قدير ، أو هذا على الأقل ما كان الدكتور " هامبلباي " يردده عنه ، ولكنه لم يكن موفقاً في عمله ؛ إذ كان أهل القرية يؤثرون عليه الدكتور " هامبلباي " كما أن " توماس " كان يأخذ بطرق العلاج الحديثة العصرية على حين كان " هامبلباي " متشبهاً بالطرق القديمة وبسبب هذا كانت تثور بينهما خلافات عنيفة . وثمة أمر آخر ، ولكنه مجرد شائعة ، وأنا رجل لا أحب أن أردد الشائعات .

فانبرت الأنسة " كوفواي " تقول :

- ولكنني أعلم أن السيد " فيتز ويليام " يحب أن يسمع هذه الشائعات .
فتململ القس قليلاً ، ثم قال باسمًا :

- فليكن إذن ... إن " روز هامبلباي " فتاة جميلة جداً فلا عجب أن يقع " جيوفري توماس " في هواها ، ولكن الدكتور " هامبلباي " كان يرى أن الفتاة مازالت صغيرة غريرة ، ولم يتح لها بعد أن تختلط بالناس .

- إذن فقد اعترض على زواجها من "توماس" .. ؟
- بكل عناد وصلابة ... وكان هذا أيضاً مثار نزاع جديد بين الرجلين .
- لقد ذكر لي اللورد "هويتفيلد" أنه مات متسمماً .
- هذا صحيح .. أصيب بخدش سطحي ما لبث أن تحول إلى غرغرينا قضت عليه .

واستطرد السيد "ويك" قائلاً :

- آه ! لقد شردنا بعيداً عن الموضوع الذي كنا نتحدث فيه .. كنت أقول إن السيدة "لافيينيا بنكروتون" كانت من بين من نزل بهم الموت أيضاً في هذه السنة . وهي سيدة ودود وطالما تبرعت للكنيسة ببعض المال .. ولدينا أيضاً هذه الفتاة المسكينة "إيمي جيبس" ، وقد تردد أنها ماتت منتحرة ويمكنك أن تقابل خالتها وتحدث إليها ، فقد تستقي منها بعض المعلومات .
- سوف أفعل بكل تأكيد .

وتابع القس حديثه قائلاً :

- ثم هناك أيضاً الصبي "تومي بيرس" .. إنه لم يكن محبوباً من أهل القرية؛ فقد كان مشاكساً شرس الخلق ، وقد كانت ميته مفعجة ؛ إذ سقط على الأرض جثة هامدة وهو ينظف نافذة عالية في مبنى البريد . وقبل ذلك كان يعمل لدى اللورد "هويتفيلد" ، ولكنه اضطر إلى طرده بسبب وقاحته وسوء خلقه . ويبدو أنه حاول وهو واقف على حافة النافذة أن يقوم ببعض الألعاب البهلوانية ، فاختل توازنه ووقع من ارتفاع شاق .

- وهل رآه أحد وهو يسقط .. ؟

- لا .. فقد كان ينظف نافذة تطل على الفناء الداخلي .

- ومن الذي اكتشف جثته .. ؟

- السيدة "بنكروتون" .. فقد حصلت على تصريح بقطف بعض الزهور من

حديقة مبنى البريد فلما دخلت إلى الحديقة وقعت عينها على الفتى ممدداً على الأرض وهو في النزاع الأخير .. وكانت الصدمة شديدة الوقع على المسكينة .
فانبرت " بريدجيت " تقاطعه بقولها :

– ولكنك تعلم يا سيد " ويك " أنه كان فتى شريراً ، يضرب صغار الأطفال ، ويحاول أن يخنق القطط .

فقال القس يؤمن على قولها :

– أعرف ذلك .. أعرف ذلك .. ولكن هذه القسوة يا آنسة " كونواي " تعود في أغلب الأحيان إلى أن عقل صاحبها لم يكن قد نضج بعد ، وأنه على الرغم من تقدمه في السن لا يزال يحتفظ بعقل طفل .

فقالت الفتاة في صوت غريب النبرات :

– إنك على حق يا سيد " ويك " .. إن الرجل الذي لا يزال طفلاً بعقله هو أشد ما يبعث الخوف في النفس .

وتطلع إليها " لوك " ، وراح يسائل نفسه عن تقصده " بريدجيت كونواي " بهذا التلميح .. ؟ من ذلك الذي تعنيه بقولها – "الرجل الذي لا يزال طفلاً" .. ؟ إنها بالتأكيد لا تقصد اللورد " هويتفيلد " على الرغم من أن له بعض التصرفات الصبيانية ، فمن يكون إذن هذا الذي تعنيه .. ؟

- 5 -

استطرد السيد " ويك " :

– والآن دعني أتذكر .. آه ! المسكينة السيدة " روز " ، و " بيل " العجوز ، والطفل اللطيف ابن السيدة " الكنز " ثم " هاري كارتر " . وفي آذار (مارس) نزلت بالبلدة موجة قارسة من البرد مات على أثرها " بن استانبوري " ، ولكنه عجوز في الثانية والتسعين .

وقالت "بريدجيت" :

- لقد ماتت "إيمي جيبس" في نيسان (إبريل).

وتطلع "لوك" إلى "بريدجيت" فوجدها تتأمله في اهتمام وهي تردد هذه العبارة ، فارخت بصرها حين رآته ينظر إليها وخامره شعور بالضيق وقال في نفسه :

- "بخيل إليّ أن موت هذه الفتاة ينطوي على سر معين ، فليتني أهتمني إليه" .

وحين انصرفا من حضرة القس سألها "لوك" :

- والآن حدثيني عن هذه الفتاة "إيمي جيبس" .. ؟

ومضت لحظات طويلة قبل أن ترد "بريدجيت" على سؤاله ، وكانت نبرات صوتها متوترة مضغوطة .

قالت :

- كانت من أكفأ الوصيفات ، أما عيبها فهو أنها كانت على صلة بأحد الشبان ، فلا تعود إلى القصر مساءً إلا بعد الموعد المقرر ، و "جوردون" رجل محافظ يمتع عبث الشباب ، فما كان منه إلا أن طردها .

- أكانت جميلة .. ؟

- بل كانت غاية في الجمال .

- كان غباء منها أن تشرب طلاء القبعات بدلاً من دواء السعال .

- مجرد غلطة ، فإنها لم تكن غبية .

وخلال هذا الحديث كان "لوك" يحس من نبرات صوتها أن في الأمر شيئاً خفياً .

وتوقفت "بريدجيت" في هذه اللحظة ، لتبادل التحية رجلاً ماراً في الطريق ، وقدمته إلى "لوك" على أنه السيد "أبوت" الذي استخدم "تومي بيرس" بعد طرده من عمله في القصر .

وقال المحامي متسائلاً :

- إذن فانت مشغول بتأليف كتاب .. ؟ قصة .. ؟

وتولت " بريدجيت " الرد بقولها :

- بل كتاب عن التقاليد الشعبية والخرافات والسحر .

فقال " أبوت " المحامي :

- لقد عرفت إذن كيف تختار المكان الملائم .

- هذا ما قيل لي ، ولعلك تستطيع يا سيد " أبوت " أن تمدني بشيء من

المعلومات في هذا الشأن .. أعني عن العادات والتقاليد والطقوس الغربية وما أشبهه .

واستطرد " لوك " :

- هل يؤمن الأهالي هنا بالأشباح .. ؟

وأجاب المحامي :

- الحق أنني لا أدري ، وعاد " لوك " يسأله عما إذا كانت في القرية بيوت

تسكنها الأشباح ، ثم سأله عما إذا كان شبح " تومي بيرس " يظهر للناس ، وعما

إذا كان يعتقد أن الأرواح الشريرة وحدها هي التي تظهر في الدنيا .

وهكذا أخذ " لوك " يحيط المحامي " أبوت " بوابل من الأسئلة ، وكان جوابه

الوحيد عن هذا لا يخرج من : لا أعرف هنا .. . لم أسمع بشيء من هذا .. لا

أدري .

ورأى " لوك " أن يغير موضوع الحديث فقال :

- أعتقد أن الأطباء هم خير من يستقي منهم الإنسان المعلومات ؛ فإن المرضى

وأهلهم يفضلون أمامهم بالحديث دون حذر عما يدور في رؤوسهم .

فقال " أبوت " :

- فكرة سديدة ، فعليك بالدكتور " توماس " ، فهو رجل لطيف على نقيض

المسكين " هامبلاي " .

فقال "لوك" :

- إنه كان رجعيًا عتيق التفكير على ما بلغني .

- وليت الأمر اقتصر على هذا ، فإنه كان كذلك عنيًا وغيبًا .

وتدخلت "بريدجيت" في الحديث بقولها :

- كان بينكما نزاع فيما أذكر بشأن مشروع المياه ؟ .

فأجاب المحامي "أبوت" في حدة وانفعال :

- إن "هامبلباي" رجل أحمق يقف حجر عثرة في سبيل التقدم والتطور .. لقد

رفض المشروع في عناد ، وكان وقحا ، وردد في حديثه عبارات جارحة مشينة .

وتحول "أبوت" إلى "لوك" قائلاً :

- أظن أنه آن لي أن أنصرف ، ويمكنك يا سيد "فيتز ويليام" أن تتصل بي

تليفونيًا إذا شئت . وشكره "لوك" وانصرف المحامي في خطوات سريعة . وتحولت

إليه "بريدجيت" قائلة :

- إذا كنت تبغي مزيداً من المعلومات عن "إيمي جيبس" فلنذهب إلى الآنسة

"وينفليت" .. لقد التحقت "إيمي" بخدمتها بعد أن فصلت من القصر . وكانت لديها حين ماتت .

- إذن هيا بنا إليها .

واستقبلتهما الآنسة "وينفليت" بحرارة وترحاب .

وقدمته إليها "بريدجيت" بقولها :

- هذا هو السيد "فيتز ويليام" ، وهو يضع كتابا عن العادات والتقاليد الريفية

في الجنازات وتشيع الموتى . وأيضاً عن المعتقدات الخرافية المختلفة .

فأالت العانس العجوز :

- إنه حقاً لموضوع طريف .

- وقد خطر لي أنك قد تستطيعين أن تحدّثيه عن "إيمي جيبس" والظروف التي

لايست موتها .

ورأى في عيني الأنسة " وينفليت " نظرة شاردة ، كأنما انتهت إلى قرار معين ،
فقد تحولت إليه قائلة :

- حسناً .. لقد كانت المسألة كلها مأساة محزنة سببت لي صدمة مروعة ..
كانت غلطة مفرجة .

فسألها " لوك " :

- ألا يجوز أنها أرادت أن تنتحر .. ؟

- لا .. ليست " إيجي " من الطراز الذي ينتحر .

- إذن من أي طراز كانت .. ؟

وأجابت الأنسة " وينفليت " :

- إنها على وجه العموم لم تكن بالخدمة القديرة . إن من عاداتها السيئة أنها
كانت ميالة دائماً إلى الخروج ، فتعتمد إلى إنجاز واجباتها في عجلة وبغير دقة .
وترثت الأنسة " وينفليت " برهة لائذة بالصمت ، ثم قالت :

- وثمة شيء آخر .. كانت مغرورة بجمالها ، وزادها غروراً أن السيد
" الزويرثي " - صاحب متجر التحف - رسم لوجهها صورة أو صورتين . وحملها
غرورها على أن تتشاحن مع خطيبها " جيم هارفي " ، وهو شاب لطيف .
وقال " لوك " مجاملاً :

- إنها في الحق معلومات طريفة .

وتابعت الأنسة " وينفليت " الحديث فقالت في أسى :

- إنني لا يمكن أن أنسى تلك الليلة المشؤومة . كانت " إيجي " مصابة بسعال

حاد ، وقد ذهبت إلى الطبيب في ظهيرة ذلك اليوم .

فسألها " لوك " مقاطعاً في كلمات سريعة :

- الدكتور " هامبلباي " أم الدكتور " توماس " .. ؟

- الدكتور "توماس" ... وقد أعطاها زجاجة دواء لعلاج السعال .. وفي تلك الليلة أوت "إيمي" إلى فراشها في ساعة مبكرة . ولا بد أن الساعة كانت قد بلغت الواحدة بعد منتصف الليل حين تعالت تأوهاتهما وتوجعاتها مصحوبة بصرخات مكتومة ، فصحوت على الضجة ، وبادرت إلى غرفتها ، وطرقت الباب فلم أتلق جواباً ، وحاولت أن أدخل فوجدت الباب موصداً . وكانت الطاهية معي ورأينا أن نستعين بأحد الناس وكان الشرطي "ريد" بالقرب من البيت ، فدار حول المنزل ، واستطاع أن يتسلق الجدار من الناحية الخلفية متعلقاً بماسورة المياه .. وتسنى له أخيراً أن يدخل غرفتها من نافذتها المفتوحة ، ثم فتح لنا الباب . لقد نقلت إلى المستشفى في الحال ، ولكنهم عجزوا عن إنقاذها ، فماتت بعد بضع ساعات .

فتساءل "لوك" :

وكان السبب في موتها طلاء القبعات ؟

- تماماً ، إذن فيه مادة سامة .. "حمض الأوكساليك" .. وكان الطلاء موضوعاً في زجاجة لها نفس الحجم الذي عليه زجاجة دواء السعال .. وقد وجدنا زجاجة الدواء على رف الحوض ، أما زجاجة الطلاء فكانت موضوعة على المنضدة بجانب فراشها .

سألها "لوك" :

- ولكن ألم يجلب ببالك أن من المحتمل أنها تعمدت أن تنتحر .. ؟

- رأيي هو أن وفاتها كانت حادثاً من حوادث القضاء والقدر . شربت طلاء القبعات خطأ . ثم أطبقت شفتيها وزمتهما ، ولاذت بالصمت .

وسمع "لوك" نبشاً على باب الغرفة الموصد مصحوباً بمواء قطرة ، فنهضت الأنسة "وينفليت" مسرعة لتفتح الباب ، وعادت بعد لحظات تضم إلى صدرها قطرة فارسية جميلة الشكل ، وقالت :

- هذه "ووني" المسكينة .. كانت مملوكة للسيدة "بنكرتون" . فلما

دهمتها السيارة وقضت عليها ، رأيت أن أحتفظ بالقطة المسكينة؛ حتى لا تهيم على وجهها شاردة في الشوارع .. أليست قطة جميلة .. ؟
- وأطرى " لوك " جمال القطة ، وربت ظهرها في رفق ، فقالت له الآنسة "وينفليت " :

- احذر أن تمس أذنيها ، فقد كانت تتألم منهما في الأيام الأخيرة .
ونهضت " بريدجيت " واقفة وهي تقول :
- أظن أنه ينبغي أن ننصرف .
وصافحت الآنسة " وينفليت " السيد " لوك " وهي تقول :
- ربما التقينا مرة أخرى .
فاجابها " لوك " :

- هذا ما أرجوه . وخُيِّلَ إليه أنه رأى في عينيها نظرة حائرة مشوبة بشيء من خيبة الأمل . ثم نقلت بصرها إلى " بريدجيت " ، وفي عينيها نظرة استفسار ، وخطر لـ " لوك " أن بين المرأتين نوعاً من التفاهم لا يدري سره . وشيعتهما الآنسة " وينفليت " حتى الباب الخارجي .
ووقف " لوك " يتأمل المشهد المنبسط أمام بصره ، وقال :

- إنه في الحق مشهد رائع خلاب .
وأشرق وجه الآنسة " وينفليت " وقالت :
- إنه لكذلك فعلاً . وهو لا يزال على حالته التي شهدته عليها وأنا بعد طفلة صغيرة . لقد كنا نقطن في " الهول " فلما آل الميراث إلى أخي قرر أن ينتقل منه . إذ لم يكن من الشراء بحيث يستطيع أن ينفق على صيانته ، فعرضناه للبيع ، وتقدم أحد المقاولين لشرائه؛ ليهدمه ويقسمه إلى قطع صغيرة من الأراضي يعرضها للبيع، وكنت حزينة لهذا فقد كنت أتمنى أن يبقى بيت الأسرة دائماً، وفجأة تقدم اللورد " هويتفيلد " لشرائه ، وأنقذ البيت من الهدم ، وحول الجزء الأكبر منه إلى متحف

و مكتبة . أما المنزل فتركه على حاله لكي أقيم فيه .. الحق أن اللورد " هويتفيلد " رجل سخي كريم القلب .. وأنا الآن أعمل أمانة للمكتبة ، ولا أتقاضى مرتباً مقابل الإقامة في البيت . وصافحها " لوك " مرة أخرى ، وانصرف مع صاحبه . وفي طريق العودة مرا بحانوت التحف والعاديات . وتأمل " لوك " واجهة المتجر بنظرة خاطفة ثم قال :

- إنني أرى في الواجهة طبقاً جميلاً يحسن بي أن أقدمه هدية لعمتي .
فقال الفتاة :

- فلندخل إذن لنشاهده .

ودلفا إلى الحانوت ، وتناول " لوك " الطبق وأخذ يتفحصه . وخرج إليهما من الجزء الخلفي من المتجر رجل قصير القامة وحياهما مرحباً كان " الزويرثي " صاحب المتجر شاباً في مقتبل العمر . يرتدي بذلة فاقعة اللون ، وكانت بوجهه مسحة من الشحوب . وقدمت إليه " بريدجيت " صديقها فحياه " الزويرثي " ، ثم أخذ يحدثه عن الطبق ، ويطنب في مزاياه وأوصافه قال :

- إنه طبق أثري أصيل . ألا تراه جميلاً يا سيدي . إنني في الواقع متيم حباً بهذه التحف .

فعقبت " بريدجيت " وعلى شفيتها ابتسامة خفيفة :

- إن السيد " الزويرثي " فنان أصيل .

فلوح الشاب بيده معترضاً :

- أرجوك يا آنسة " كونواي " لا تضيفي عليّ هذا الوصف . إنني لست إلا تاجراً .. مجرد تاجر .

فقال " لوك " :

- ولكنني سمعت أنك فنان حقاً ، وأنتك تمارس الرسم .

فرك " الزويرثي " كفيه ، وصاح قائلاً :

– من الذي ذكر لك هذا .. ؟ في هذه القرية لا يكتف سر أبداً ... إنها بلدة الشائعات والفضائح . ورد عليه " لوك " دون موارد قائلاً :

– لقد أخبرتني الآنسة " وينفليت " أنك رسمت بعض الصور لـ " إيمي جيبس " .

– أوه ! " إيمي " .. إني أذكر فعلاً أنني رسمت لها بعض الصور .
وقالت " بريدجيت " :

– إنها تستحق أن ترسم ، فقد كانت فتاة جميلة .
فقال " الزويرثي " :

– أظنن ذلك .. ؟ لقد كنت أراها دائماً فتاة عادية لا تكاد تسترعي الانظار .
ثم تحول إلى " لوك " يسأله :

– ترى هل راقك شيء هنا .. ؟ ؟ الطبق بالتأكيد ... إن ثمنه زهيد جداً ..
بيد أن " لوك " بادر يقاطعه قبل أن يتم عبارته :

– شكراً لك . إني لا أحب أن أحرملك من تحفك ما دمت متعلقاً بها .

وحاول " الزويرثي " أن يغري " لوك " بشراء الطبق ، وعرض عليه أن يخفض له شيئاً من ثمنه ، ولكن " لوك " أصر على عدم الشراء . وحين غادرا المتجر التفت " لوك " إلى " بريدجيت " قائلاً :

– إن " الزويرثي " هذا شخص بغيض إلى النفس . فردت عليه الفتاة وهي تلوي شفتيها قائلة :

– إنه فعلاً شخص بغيض ، كما أن له أيضاً عادات بغيضة .
وسألها " لوك " :

– ليست هذه القرية بالمكان الذي يصلح لتجارة التحف والعاديات ، فما الذي

جاء به ؟

فأجابت :

— لا أدري ، وإن كنت أعتقد أنه يمارس السحر ، وأنت تعلم أن هذه القرية كانت مقراً للسحرة منذ أعوام بعيدة .

فعقب " لوك " بقوله :

— إنه إذن الشخص الذي أحتاج إليه .

فقالت الفتاة :

— إذن فأنت تعتقد أنه يعرف الكثير عن الموضوع الذي تدرسه .. ؟

— أعتقد ذلك ، ولذا يجب أن القاه مرة أخرى .

كانا إذ ذاك يسيران على شاطئ النهر ، وهما يتبادلان حديثاً عادياً عن جو القرية وشوارعها ومبانيها . والتقيا برجل قصير القامة ذي شارب كث ، تصحبه ثلاثة كلاب من فصيلة " البولودوج " ، وهو يصرخ فيها بصوت أجش النبرات ، يناديها بالابتعاد عنه .

وحدق الرجل إلى " لوك " في فضول واضح .

وسألها " لوك " وقد ابتعد بضع خطوات :

— هذا بالتأكيد هو النقيب " هورتون " وكتابه " البولودوج " ؟

فاجابت :

— إنه هو بعينه . ثم أردف :

— إن له سمة الضباط وهيئتهم . ولم تعقب " بريدجيت " على قوله وإنما قالت :

— أتحب أن نجلس قليلاً .. ؟

واستويا على جذع شجرة ملقى على الأرض .

وقالت الفتاة :

— أصبت في نظرتك .. إن النقيب " هورتون " رجل عسكري ، ولا يمكن للمرء

أن يتصور أنه منذ عام كانت زوجته تتحكم فيه وتتسلط عليه .

فعقب " لوك " بقوله :

— ياله من مسكين !

واستطردت " بريدجيت " :

— كانت تعامله في خشونة وقحة ، في حين كان المسكين يعاملها في رقة ووداعة .. ومن العجيب أنه لم يقتلها ، فلو أنني كنت في مكانه لبادرت إلى خنقها منذ السنة الأولى للزواج .

فسألها " لوك " :

إذن فلم تكن محبوبة من أهل القرية .. ؟

— كان الناس جميعاً يمتنونها ، وكانت تتحدث إليّ في لهجة متعالية كأنها وصية عليّ . وما من شخص التفت به إلا كرهها لسوء طباعها .
فقال " لوك " :

— ثم وافتها المنية فأراحته منها .. ؟

— تماماً .. فمنذ عام أصيبت بمرض مفاجئ ، وفي أثناء مرضها كايد زوجها والدكتور " قوماس " الويل والجحيم ، ثم أنقذهما الموت منها ..
وران عليهما الصمت فترة طويلة . كانت الفتاة غارقة في خواطرها ، أما لوك " فكان يفكر في المهمة التي جاء من أجلها إلى هذه القرية .
وفجأة انتزع من استغراقه صوت " بريدجيت " وهي تسأله :
— سيد " فيتز ويليام " .. هل لك أن تصارحني بالحقيقة ؟ ما الذي دعاك حقاً إلى الحضور إلى هذه القرية .. ؟

- 6 -

فوجئ " لوك " بالسؤال الذي قذفت به " بريدجيت " على حين بغتة .

كان عندئذ قد أشعل عوداً من الثقاب ، وقد أدناه من سيجارته ، فما إن سمع كلماتها حتى تسمرت يده مكانها ، ثم ألقى بعود الكبريت في عصبية وقال :

- اللعنة ! إنك باغتني بسؤالك .

تلاعبت على شفتيها ابتسامة هازئة وقالت :

- أحقاً فاجأتك .. ؟ كنت أتوقع منك أن تترقب هذا السؤال في أية لحظة .
فقال :

- يبدو أنني بخسستك حقك .. إن من كانت على مثل ذكائك لا يمكن أن
تنخدع بسهولة . إنك بالتأكيد لم تصدقي حرفاً مما قلته عن تأليف الكتاب .
فقالت :

- حين التقيت بك أدركت على الفور أنك لست من الطراز الذي يكتب
ويؤلف .

- إذن ما الذي ظننته بي .. ؟

- كنت أحسبك من أصدقاء ابن عمي " جيمي " المفلسين ، وأنه ابتدع هذه
القصة وأراد مني أن أزعم أنك ابن عم لي حتى يتسنى لك أن تقيم معنا وتتناول
طعاماً مجانياً .

وأغرق " لوك " في الضحك وقال :

- إذن فهذا ظنك بي ؟

فسالته :

وأنت .. ؟ ما الذي ظننته بي .. ؟

فتردد هنيهة خاطفة ، ولكنها استحثته فأجاب :

- كنت أتوقع أن أرى فتاة لعبواً مدللة ، عرفت كيف توقع اللورد " هويتفيلد " .
في شباكها ، فإذا بي إزاء فتاة راجحة العقل ذات ذكاء وفطنة .

وران عليهما الصمت برهة ، ثم عادت الفتاة تردد نفس السؤال :

- والآن .. ما الذي جاء بك إلى هذه البلدة .. ؟

- أظن أن من الحماسة أن أدلي إليك بأكاذيب أخرى ، فإنك لا تلبسين أن

تكتشفي زيفها .

– أظن أنه يحسن بك أن تكاشفني بالحقيقة .

– فليكن إذن .. لقد جئت أبحث عن قاتل خفي .

– أعني هذه الميئات العديدة التي توالى في القرية .. ؟

– تماماً .. ذاك ما عنيته .

وترينت " بريدجيت " برهة مفكرة ، ثم قالت :

– الحق أن وفاة " إيمي جيبس " أثارت في نفسي شيئاً من الريبة ، وإن كان التحقيق قد انتهى إلى أنها ماتت قضاء وقدرًا لتناولها طلاء القبعات بدلاً من شراب السعال .

فسألها " لوك " :

– وما الذي رابك من أمر موتها .. ؟

فاجابت :

– أولاً وقبل كل شيء طلاء القبعات فمنذ عشرين عاماً كان الناس يطلون القبعات القش كل صيف ، فتكتسب لوناً جديداً مغايراً لما كانت عليه في الموسم السابق ، موهماً من يراه بأنه اشترى قبعة جديدة ، أما اليوم وقد أصبحت القبعات القش رخيصة الثمن ، فلا أحد يهتم بأن يطلي قبعته ليغير من لونها .

فقال " لوك " :

– إذن فانت تريدان أن تقولني إن استعمال طلاء القبعات قد بطل ، فما الذي جاء بالزجاجة في متناول يدها .. ؟

– تماماً .. وكان هذا هو ما أثار شكوكي لأول مرة .

ثم استطردت :

– وثمة شيء آخر .. إن شعر " إيمي جيبس " أحمر اللون ، وهذا الطلاء أحمر اللون أيضاً . فمن هي الفتاة الحمقاء المجردة من سلامة الذوق التي ترضى بأن تلبس

قبة حمراء فوق شعر أحمر .. ؟

فأوماً "لوك" برأسه مؤمناً وهو يقول :

- أصبت .. إنه حقاً استنتاج معقول .

وسألته :

- هل أنت شرطي من رجال " اسكتلانديارد " ؟

- لا .. كنت شرطياً في " هاينج " ، وعدت من الشرق منذ أيام؛ لأنني تقاعدت

واعتزلت العمل .

- إذن ما الذي أقحمك في هذا الموضوع .. ؟

- مجرد مصادفة عجيبة .. وإليك القصة .

وروى لها ما كان من أمر لقائه في القطار بالسيدة " بنكرتون " وحديثها عن

توقعها موت الدكتور " هامبلباي " ، وكيف دهمتها السيارة قبل وصولها إلى

" اسكتلانديارد " . وكيف صح توقعها ومات الطبيب .

وقال :

- وقد أثارت هذه الأحداث شكوكي ، وجعلتني أعتقد أن في هذه القرية قاتلاً

خفياً يقترب جرائمه دون أن تتطرق إليه الشبهات .. وإذا صحت نظرية السيدة

" بنكرتون " ، فهذا القاتل الخفي نفسه هو الذي قتل " إيمي جيبس " ..

فقالت الفتاة :

- إذن فقد تسلق القاتل الجدار كما فعل الكونستابل " ريد " عند اكتشاف

جثتها ، وتسلسل من النافذة ، ووضع زجاجة طلاء القبعات بجانب فراشها ، ونقل

شراب السعال إلى الرف البعيد عنها . وحدث الضابط توقعه تماماً ، فحين اشتد بها

السعال تناولت جرعة أو جرعتين من السائل السام .

وسألها "لوك" :

- وهل ناقشت هذا الموضوع مع الأنسة " وينفليت " .. ؟

– نعم ، ولكن ليس بالصورة التي تباحثنا بها الآن ... كان حديثنا مجرد كلمات عابرة لا أهمية لها ، ولكن الآنسة " وينفليت " امرأة ذكية ، واعتقد أنها انتهت إلى نفس النتيجة التي انتهينا إليها الآن .
وسالته " بریدجيت " :

– قلت إن السيدة " بنكرتون " اشارت في حديثها معك إلى أسماء أخرى ، فما هي؟

– لقد اشارت إلى الصبي " تومي بيرس " الذي تحدثنا عنه ، وأيضا إلى السيد " كارتير " .

فقالت " بریدجيت " مرددة وهي غارقة في خواطرها :
– " كارتير " .. " تومي بيرس " .. " إيمي جيبس " .. دكتور " هامبلباي " .
إنه لا مريثير الدهشة أن تتحقق توقعاتها .
وسالها " لوك " :

– ألم يخطر ببالك أي سبب يدعو إلى قتل " إيمي جيبس " .. ؟
– لا ... لم يخطر ببالي .. فما أعرف أحداً يكن لها العداوة .
– و " كارتير " .. ؟ كيف مات .. ؟
– سقط في النهر، فمات غريقاً .. كان عائداً إلى داره ليلاً وهو سكران ، وكان لابد أن يعبر في طريقه قنطرة ضيقة ليس لها إلا حاجز واحد ، وانتهى الرأي إلى أنه لابد أن تكون قدمه قد زلت فوق في النهر .
فقال " لوك " :

– كما أن من المحتمل أن يكون شخص ما قد دفعه فوق .
– هذا جائز .. كما أنه من الجائز أيضاً أن يكون مجهول قد دفع " تومي بيرس " من فوق حافة النافذة .

– احتمال غير مستبعد . وهناك أيضاً من أبدل شراب السعال في حالة " إيمي

جيبس " . وهذا معناه أن هناك قاتلاً خفياً لا يرتاب فيه أحد .

واستطرد " لوك " يسأل الفتاة في كلمات متهملة :

ترى هل في قرية " آش " شخص له تأثير سحري شرير .. ؟ وأنت تدركين بالتأكيد ما أعني .. هناك عيون لها نظرات شيطانية تجلب الشرور والنحس ، أو نظرات توحى بأن صاحبها مجنون مخبول .

فأجابت :

– كل من قابلت في " آش " يبدو عاقلاً متزناً . ثم تساءلت :

– إذن فأنت تعتقد أن القاتل لابد أن يكون مختل العقل .. ؟

– هذا ما خطر لي .. إنه مخبول ولكنه يبدو عاقلاً كأي إنسان .. كالجزار ، أو

الخباز ، أو البقال ، أو أي عامل من عمال المزارع .

فقالت الآنسة " بريدجيت " معترضة على ما ذهب إليه :

– إنني لا أشاطرك رأيك في هذا التعميم الذي يشمل أهل القرية جميعاً .. إن حديث السيدة " بنكروتون " عن هذا الشخص ونظراته التي تجلب الشؤم يدل على أنها تتحدث عن شخص تلقاه من وقت لآخر .. أي شخص في مثل مستواها الاجتماعي ، فهو إذن لا يمكن أن يكون الخباز ، أو البقال ، أو أحد العمال ، أو نحو ذلك .

– إنك على حق ، وبذلك ضاقت دائرة البحث .

ثم أردف :

– إنني سعيد بأن صارحتك بمهمتي ، فإنك سوف تكونين لي عوناً كبيراً .

فقالت باسملة :

– أعتقد أن في وسعي أن أعاونك على اكتشاف هذا القاتل الخفي .

وتطلعت إلى ساعتها ثم قالت :

– يحسن بنا أن نعود ، فقد طالت غيبتنا .

ما إن فرغ " لوك " من تناول الغداء حتى لاذ بغرفته محاولاً أن ينسق المعلومات التي جمعها حتى الآن . وتناول فرخاً من الورق ، و سطر عليه بضعة أسماء ، كما دون أمام كل اسم بعض الملحوظات :

أولاً - الضحايا وهم :

" إيمي جيبس " : ماتت مسمومة .

" تومي بيرس " : دفع من فوق حافة النافذة .

" هاري كارتر " : دفع إلى النهر (هل كان مخموراً ، أم مخدراً .. ؟)

الدكتور " هامبلباي " : تسمم في الدم .

- السيدة " بنكرتون " : دهمتها سيارة وفر سائقها هارباً .

ثم أضاف إلى القائمة : السيدة " روزبن " العجوز ، وبعد برهة قصيرة أضاف أيضاً : السيدة " هورتون " . وأمضى برهة يردد النظر في هذه القائمة ، ثم تناول القلم مرة أخرى ، وبدأ يكتب :

- الدكتور " توماس " : من المحتمل أن يكون محل شبهة .

دافع مؤكداً في حالة الدكتور " هامبلباي " .. طريقة قتله مناسبة .. طبيب يستخدم علمه في القتل .. تسمم باستخدام الجراثيم .. " إيمي جيبس " زارته ظهيرة اليوم الذي ماتت فيه (ترى هل ثمة علاقة بينهما .. ؟ ابتزاز مثلاً .. ؟) " تومي بيرس " : ليست له علاقة معروفة بالدكتور " توماس " . هل عرف " تومي " شيئاً عن علاقة " توماس " بـ " إيمي جيبس " ؟ .. وهل له علاقة بـ " هاري كارتر " ؟ العلاقة غير معروفة حتى الآن .

هل كان الدكتور " توماس " غائباً عن القرية يوم مصرع السيدة " بنكرتون " في "لندن" .. ؟

وخرجت من صدر " لوك " تنهيدة عميقة ، فقد كان في حيرة من الامر ، وحتى

هذه اللحظة لا يقف على أرض صلبة . وعاد يسطر عنواناً جديداً :

ثانياً : المشتبه فيهم ، وهم :

السيد " أبوت " المحامي : يمكن أن يكون محل اشتباه ... شخصيته معقدة .. شخص مراوغ لا يعرف الصراحة ... يبدو مكرراً خبيثاً .

الدافع إلى قتله الدكتور " هامبلباي " : بينهما نزاع حاد بشأن مشروع المياه .

تحدى " أبوت " في فحة ولسان سليط .. دافع قوي عند صاحب عقل غير متزن .. من المحتمل أن السيدة " بنكرتون " فطنت إلى ما بينهما من عداوة .

" تومي بيرس " .. لعله وهو يعمل عند المحامي " أبوت " قد اطلع على أوراق لها طابع سري ... ترى هل اطلع على شيء يرى المحامي أنه كان ينبغي أن يبقى سرّاً ؟ .

" هاري كارتر " : ليست هناك علاقة معروفة .

" إيمي جيبس " : ليست هناك علاقة معروفة .. القتل بواسطة طلاء القبعات وسيلة تتفق وعقلية " أبوت " ؛ لأنه صاحب عقلية رجعية .. هل كان " أبوت "

بعيداً عن القرية يوم مصرع السيدة " بنكرتون " في " لندن " .. ؟

النقيب " هورتون " : يمكن أن يكون محل اشتباه ... ليست له علاقة معروفة بـ " إيمي جيبس " أو " تومي بيرس " أو " كارتر " .

وماذا بشأن وفاة زوجته السيدة " هورتون " .. ؟ إن حالتها عند الوفاة كانت توحى بأن من المحتمل أنها ماتت متسممة بـ " الزرنيخ " .. وفي هذه الحالة تكون حوادث القتل الأخرى ناشئة بسبب محاولة أصحابها ابتزاز المال من " هورتون " ... وثمة ملحوظة مهمة هي أن الدكتور " توماس " هو الذي كان يتولى علاجها كما تولى علاج " إيمي جيبس " .

السيد " الزويرثي " بائع التحف : رجل بغيض .. يمارس الأعمال السحرية .. لعله مصاب بنزعة جنونية تجعله متعطشاً إلى سفك الدماء شأن بعض

السحرة الذين يمارسون السحر .. ترى، هل له علاقة بـ " إيمي جيبس " ؟ .. هل له علاقة بـ " تومي بيوس " .. ؟ أو " بـ " كارتر " .. ؟ لا شيء عن هذا معروف حتى الآن ؟ هل له علاقة بالدكتور " هامبلياي " ... ؟ لعل الطبيب بحكم خبرته اكتشف أن " الزويرثي " مجنون مختل العقل .

وماذا بشأن السيدة " بنكرتون " .. ؟ وهل كان " الزويرثي " خارج القرية يوم مقتلها .. ؟

السيد " ويك " قس الأبرشية : يمكن أيضاً أن يكون مشتبهاً فيه . احتمال بعيد، ولكنه جائز .. لعله متعصب إلى درجة الجنون ... لعله يعتقد أن رسالته الدينية في الأرض هي أن يقتل غير الصالحين شأن المهووسين المتعصبين من رجال الدين ... يلاحظ أن " كارتر " و " تومي " و " إيمي " أشخاص غير محبوبين وسلوكهم شرير ، ويحسن الخلاص منهم .

السيد " جونز " مدير البنك : ليست لدي معلومات عنه . خطيب " إيمي جيبس " لعل لديه دافعاً لقتلها ، ولكن هذا غير محتمل ، خاصة والمعروف أنه متيم في هواها .
وأخذ " لوك " يتلو هذه القائمة مرة بعد مرة ، ويتمعن فيها مفكراً وأخيراً همس في صوت خافت :

— إن القضية ما زالت غامضة، يكتنفها الظلام .

ثم قذف بالقائمة إلى المدفأة ، ووقف يرقبها حتى أتت النيران على الورقة والتهمتها تماماً .

- 8 -

تراجع الدكتور " توماس " في مقعده ، وتخلل بأصابعه النحيلة شعره الأسود ، ثم بدأ يتكلم .

وقال " لوك " في نفسه : " على الرغم من أنه لا يتعدى الثلاثين إلا بسنوات قليلة فإنه قد يدير في مهنته على ما يبدو " . فقد كان تشخيصه للأوجاع الروماتيزمية التي يشعر بها " لوك " مطابقاً لما قرره كبار الإخصائيين في "لندن" .

وقال له " لوك " : "لقد أرحت بالي . هل الجلسات الكهربائية ستزيل حتماً هذه الأوجاع ؟ فلست أريد أن أصبح مقعداً في أخريات أيامي .

ولاحث على شفتي الدكتور ابتسامة صبيانية وقال :

– لا خوف من ذلك أبداً يا سيد " فيتز ويليام " .

فقال " لوك " :

– كنت أخشى أن تتطور أوجاعي إلى ما هو أسوأ .. الحق أن الطبيب القدير يبدو عند مريضه أشبه بالساحر الذي يأتي بالمعجزات الخارقة .

وسأله الدكتور " توماس " :

– وبهذه المناسبة أظن أنك تعمل الآن في وضع كتاب عن السحر ، أليس كذلك ... ؟

فتطلع إليه " لوك " في دهشة واضحة وهو يقول :

– عجباً ... أنى لك أن تعرف هذا .. ؟

فعادت إلى شفتي الدكتور " توماس " ابتسامته الصبيانية وقال :

– إن الأخبار تنقل بسرعة في مثل هذا المكان .

– وبالتأكيد لا تخلو من المبالغة، إذ لا بد أن تضاف إليها بعض الحواشي . وأغلب

الظن أنه قيل لك إنني أجريت بعض الطقوس الدينية واستحضرت الأرواح .

– من الغريب أن تقول هذا ، فقد ذكر لي بعضهم أنك استحضرت فعلاً روح

"تومي بيرس" .

– " بيرس " .. ؟ " بيرس " ... ؟ ليس هو ذلك الصبي الذي سقط من فوق

حافة النافذة .. ؟

– هو بعينه .. والسيد " أبوت " المحامي هو الذي أنباني بذلك .

وأغرق " لوك " في الضحك وقال :

– كل ما هنالك أنني أشرت إلى اسم هذا الصبي في معرض حديثي مع السيد

"أبوت " .

فقال الدكتور متسائلاً :

– أترك تؤمن بظهور الأشباح يا سيد " فيتز ويليام " ... ؟

– إن لهجتك يا دكتور تدل على أنك أنت نفسك لا تؤمن بالأشباح ، ولكن

الواقع أنه مرت بي ظواهر عجيبة عن ميتات فجائية أو ميتات شاذة متسمة بالعنف .

ولكن اهتمامي منصب على الحرافات المختلفة بالميتات العنيفة ، والتي تقول إن روح

القتيل لا تهدأ ولا تستقر إلا بعد الانتقام من القاتل .

وعقّب الطبيب :

– إنها في الحق معتقدات عجيبة . ولكنني أعتقد أن الناس في أيامنا هذه لا

يؤمنون بها .

– بل هناك كثيرون مازالوا يؤمنون بمثل هذه الترهات ... وبهذه المناسبة اظن أن

في قريبتكم هذه حوادث قتل نادرة .

– هذا صحيح .. فمنذ سنوات بعيدة كانت تقع في " آش " حوادث قتل أكثر

مما ينبغي ، أما الآن فلا .

فعقب " لوك " على هذا بقوله وهو يتأمل وجه الطبيب :

– إلا إذا كان هناك من دفع " تومي بيرس " من فوق حافة النافذة .

فارتسمت على شفتي الدكتور " توماس " ابتسامة أشبه بابتسامة الأطفال وقال :

– كثيرون في هذه البلدة كانوا يتمنون أن يهشموا رأس هذا الصبي المزعج ،

ولكنني لا أعتقد أن أحداً منهم فكر في أن يقذف به من النافذة .

– يبدو أنه كان بغيضاً يكرهه الناس جميعاً ، حتى ليرون قتله واجبا اجتماعيا

عاماً يفخر المرء بأدائه . إنني أعتقد أن بعض عمليات القتل بالجملة ستفيد المجتمع حتماً .. مثلاً: الخمورون الذين لا يفقهون من السكر، أو العوانس ذوات اللسنة السليطة التي لا ترحم أحداً ، أو أصحاب العقليات الرجعية الذين يقفون في وجه التطور فلو أن أمثال هؤلاء أزيحوا ، لكسب المجتمع من وراء مقتلهم كسباً عظيماً . واتسعت ابتسامة الدكتور " توماس " حتى شملت وجهه كله وقال :

- إذن فأنت تؤكد الجريمة على نطاق واسع . ؟ للتخلص ممن يسيئون إلى المجتمع .. هذا رأي سليم ..

فتأمله " لوك " برهة ثم قال :

- يبدو أنك لست جاداً في قولك هذا ، أما أنا فلا أمزح .. إن رأيي يتلخص في عبارة واحدة : كل من يقف عقبة في وجه التقدم تجب إزاحته دون تردد .

- ومن يكون الحكم .. ؟ من الذي يقضي بصلاحية هذا للبقاء وعدم صلاحية ذلك لأن يعيش .. ؟

فقال " لوك " مقرأً :

- تلك هي المشكلة .

واستطرد الدكتور " توماس " متمهلاً في الإدلاء برأيه :

- المتدين يؤمن بأن الشيوعي ملحد غير جدير بأن يعيش . والشيوعي يحكم بالإعدام على جميع المتدينين باعتبارهم قوماً يروجون للخزعبلات والافكار العتيقة البالية ... والطبيب مثلاً يرى أن في قتل ذوي الامراض المزمنة إنقاذاً للمجتمع البشري .

فقال " لوك " :

- يجب أن يكون الحكم رجلاً حصيماً يقضي في الأمر بمعيار علمي سليم ... فليكن الحكم طبيباً مثلاً ، فهو بحكم مهنته قدير على إصدار حكم منزه ... أنت مثلاً يا دكتور تصلح حكماً قديراً .

فعقب "توماس" :

- إن مهمتي في هذه الدنيا هي أن أجعل غير الصالح صالحاً ، لا أن أقتله وأقضي عليه .

وقال "لوك" :

- ومع ذلك فتمشياً مع روح المناقشة فلنأخذ "كارتر" مثلاً .

- "كارتر" صاحب حانة "النجوم السبعة" .. ؟

- نعم ... هذا هو الرجل الذي أعنيه ... إنني لم ألتق به في حياتي ، ولكن ابنة عمي الآنسة "كونواي" حدثتني عنه ، وذكرت لي أنه رجل مشاكس ، وأفاق وضع .

وأضاف الطبيب :

- وهو إلى هذا سكير مدمن ، ويسيء معاملة زوجته ، وينهال بالضرب على ابنته ، كما أنه مشاغب سليط اللسان .

- إذن الدنيا الآن في غيبته خير مما كانت وأفضل .

- يمكنني أن أجاريك في هذا الرأي .

واستطرد "لوك" :

- إذن فلو أن شخصاً ما كان قد دفعه وألقى به في أعماق النهر لاستحق هذا الشخص وساماً ؛ لأنه أتى عملاً مجيداً في صالح المجتمع .

وتأمل الدكتور "توماس" محدثه وقال متسائلاً :

- وهذه النظريات التي أراك تبشر بها .. هل يا ترى تقوم بتطبيقها عملياً .. ؟

فضحك "لوك" ضحكة طويلة وقال :

- إنها عندي مجرد مبادئ نظرية .

فعقب الدكتور "توماس" بقوله :

- وهذا ماظننت .. فإنك تكلمت في صراحة أكثر مما ينبغي ، والقاتل الحقيقي

لا يمكن أن يكون صريحاً . وإنما يأخذ غالباً بأسباب الحذر والتكتم .
فقال " لوك " :

– ولكن ما يدريك أنني متعصب مخبول ، وأحب أن أزهو بما أفعل .
– وحتى في هذه الحالة لابد أن يكون لديك شعور بمسؤوليتك ورغبة في حماية
نفسك ، فإذا أراد المرء أن يبحث عن القاتل فلينشده في رجل منكمش هادئ
الطباع يبدو في نظر الناس وديعاً بريئاً .
وقال " لوك " :

– قل لي يا دكتور " توماس " ... ألم تلتق في خلال ممارستك مهنتك بشخص
اعتقدت أنه قاتل .. ؟ إن الأطباء هم أقدر الناس على اكتشاف أعراض الجنون التي
تخفى على غيرهم .
فقال الطبيب :

– دعني أصحح لك خطأ يتردى فيه الكثيرون .. إنهم يعتقدون أن الجنون رجل
يجري في الشوارع ، وفي يده سكين .. لا يا صديقي ... إن المخبول غالباً شخص
وديع هادئ ، ومن أشق الأمور أن تعرفه من بين الناس .
– حقاً .. ؟ الواقع أنني لم أكن أعرف هذا .
– وثمة شيء آخر ... الجنون غالباً لا يقتل إلا دفاعاً عن النفس ... أعني حسب
اعتقاده ، فقد يتخيل .. أن – صدقاً أو كذباً – شخصاً ينوي به شراً فيقدم على
قتله .

ونهمض " لوك " واقفاً وهو يقول :

– أخشى أن أكون قد أخذت من وقتك أكثر مما ينبغي .
– الواقع أن عملي اليوم قليل ، فهذه البلدة ذات جو صحي رائع فلا يمرض الناس
فيها كثيراً .
فقال " لوك " :

- وبهذه المناسبة ... لقد امتدحتك ابنة عمي وقالت عنك "إنك طبيب قدير" ،
وقد علمت ذلك الآن بنفسني؛ فتشخيصك لمرضي مطابق لما قرره كبار الإخصائيين
في "لندن". فلماذا بالله عليك تدفن نفسك في هذه القرية .. ؟ إن مجالك
الحقيقي هناك في "لندن" .

- إن الطبيب الممارس العام يكتسب خبرة كبيرة ، ولذلك أثرت أن أعمل في
إحدى القرى طبيباً ممارساً بدلاً من التخصص .

- ولكن أتتوي أن تبقى مدفوناً هنا طوال حياتك .. ؟ إن زميلك الدكتور
"هامبلباي" لم يكن بالرجل الطموح ، وما كان ليضيره قط أن يقضي عمره كله
هنا .

- إنك على حق في هذا .

واستطرد "لوك" :

- لقد بلغني أيضاً أنه كان رجعيّاً في أساليب العلاج التي يأخذ بها .

- في بعض الأحيان كان يبدو عنيدا ، وهو دائماً متشكك في طرق العلاج
الحديثة ولا يؤمن بها .

وقال "لوك" في لهجة عادية كأنما جاء الأمر عفواً :

- ولقد سمعت أن له ابنة غاية في الجمال .

ولاحظ عند هذه الكلمات أن وجه الدكتور "توماس" تضرع احمراراً وأخذ
يردد في ارتباك :

آه آه ! أظن ذلك .

واسترد الدكتور "توماس" ثباته فجأة :

- بمناسبة حديثنا عن الجرائم يمكنني أن أعيرك كتاباً قيماً عن "الجريمة ومركب
عقدة النقص" وهو مترجم عن الألمانية لكاتب معروف يدعى "كراوهامر" .

- شكراً لك ... إنه ليسرني أن أقرأه .

وتناول الدكتور "توماس" كتاباً من فوق أحد الرفوف وقال :

— قد يكون ما يتضمنه الكتاب مجرد نظريات ، ولكن البحث طريف جداً ..
وأمتع ما فيه الفصل الخاص بالقاتل "مينز هيلد" الملقب بـ"السفاح" ، والفصل
الخاص بالمرضة "آني هيلم" .
فقال "لوك" :

إني أذكر أنه قيل عنها إنها قتلت أكثر من عشرة أشخاص قبل أن تتطرق إليها
الشبهات .

— تماماً ... وتحليل المؤلف للشخصيات رائع .
وقال "لوك" :

— يا إلهي !! كيف استطاع هؤلاء القتلة أن يصرفوا الأذهان عن الاشتباه فيهم .
فقال الطبيب :

من كان ذكياً يمكن أن يقترف جرائمه دون أن يشتبه فيه إنسان .
نطق الدكتور "توماس" بهذه الكلمات وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة
غريبة مثيرة .
وانصرف "لوك" وهو يفكر في سر هذه الابتسامة ومعناها .

- 9 -

مضى "لوك فيتز ويليام" إلى الحانوت القائم في الشارع الرئيسي؛ لبيتاع علبة
سجائر وإحدى الصحف . ونشر الصحيفة وهو لا يزال في الدكان ، وألقى نظرة
على نتائج المراهنات لكرة القدم ، ثم قال في صوت مرتفع بحيث تسمعه صاحبة
الحانوت "إنه خسر مائة جنيه في المراهنات" ، فكان لا بد أن تشاطره السيدة
"بيوس" الأسي ، وأن يتشعب الحديث بعد ذلك إلى أمور أخرى .
وقالت المرأة :

— إن زوجي السيد "بيروس" مولع أشد الولع بمباريات كرة القدم ، ولكن كثيراً ما خاب أمله ، فإن الحظ كثيراً ما يسيطر على المباريات .

وشاطرها "لوك" هذا الرأي في حماس ، وقال :

— لو أن الحظ عاندنا في مباريات كرة القدم وحدها لهان الأمر واحتملناه ، ولكن لل حظ أحياناً ضربات قاسية .

نكات هذه الكلمات جرحاً كامناً في صدر السيدة "بيروس" فانفجرت تقول :

— إنني أعرف هذا يا سيدي حق المعرفة ، وقد كابدت الكثير من سوء الحظ . إنني امرأة منكوبة .. ويمكنك أن تدرك هذا بسهولة إذا عرفت أنني رزقت ثمانية أولاد ، وإن كان اثنان منهم قد ماتا .

فقال "لوك" في لهجة مواسية :

— حقاً .. ؟ هذا شيء يؤسف له .

واستطردت المرأة :

لقد مات ثانيهما منذ شهر تقريباً .

— أكان مريضاً .. ؟ وما كان مرضه ؟

— لا يا سيدي وإنما مات في حادث ، كان ينظف النافذة في المكتبة ، فزلت قدمه ، وسقط من ارتفاع شاهق إلى أرض الحديقة .

وردد "لوك" بعض كلمات المواساة ، وتدخل زوجها في الحديث وأخذ يروي تفاصيل المأساة .

وقال "لوك" :

— لقد ردد بعضهم أمامي أنه شوهد يرقص على حافة النافذة ويقوم ببعض الألعاب البهلوانية .

فقالت السيدة "بيروس" :

— لا أنكر يا سيدي أن "تومي" كان طائشاً فلعله فعل ذلك ، كما كان يسره أن

يداعب الناس، وقد عاكس النقيب " هورتون " مرة مما أثار غضبه الشديد .
فقال "لوك" :

- النقيب " هورتون " صاحب الكلاب ؟

- هو بعينه يا سيدي ... وهو الذي ذكر بعد الحادث أنه رأى " تومي " يرقص فوق حافة النافذة ، فإذا كان هذا صحيحاً فآية مفاجأة تحدث عندئذ يمكن أن تروعه فيختل توازنه ويسقط بسهولة . ولكن ابني لم يكن شريراً كما يقولون .

- إني واثق بهذا يا سيدة " بيرس " ... ومما يؤسف له أن بعض الناس ينسون إذا ما تقدم بهم العمر أنهم كانوا وهم صغار يفعلون مثلما يفعل الشباب .
فتنهدت السيدة " بيرس " وقالت :

- صدقت يا سيدي صدقت . إن بعض الناس كانوا يشيرون غضباً إذا حاول مداعبتهم .

واستطردت المرأة :

- كان " تومي " يجيد تقليد الشخصيات المختلفة بطريقة تضحك الناس . فقد قلد السيد " الزويرثي " صاحب حانوت التحف ، كما قلد السيد " هويز " حارس الكنيسة ، وقد حدث يوماً أن قلد اللورد " هويتفيلد " أمام البستانيين فأغرقوا في الضحك ، وتصادف في هذه اللحظة أن جاء اللورد فجأة ، وشاهد ما يحدث فغضب ، ولكنه كان متسامحاً كريم القلب ، فبحث لـ "تومي" عن عمل آخر قبل أن يفصله .

- ومخدومه الجديد .. ألم يغضب على " تومي " ؟

- لقد ألحقه اللورد بخدمة السيد " أبوت " المحامي ، وحدث أن شاهده يعبث في أوراقه الموضوعة فوق المكتب ويقرأها فهاج هياجاً شديداً .
فتساءل " لوك " :

وما الذي ضبط يقرأه .. ؟ وصية مثلاً .. ؟

— لا يا سيدي ، وإنما مجرد خطاب شخصي من إحدى السيدات ... ولكن " تومي " لم يكن قد قرأ إلا جزءاً من الخطاب .. بل إنه لم يعرف حتى من تكون السيدة كاتبة الخطاب .

وتابعت السيدة " بيرس " الحديث بقولها :

— إن السيد " أبوت " رجل حاد الطبع ، وقد سمعت أنه كان على خلاف شديد مع السيد " هامبلباي " بشأن مشروع المياه ، وذلك قبل وفاة الدكتور . وإنه لامرؤوسف أن يقرن اسم " أبوت " بهذه الميئات .
فقال " لوك " :

— لعلك تعين أنه ما إن يختلف مع شخص إلا مات .. اختلف السيد " أبوت " مع الدكتور " هامبلباي " فمات .. اختلف مع " تومي " فمات .. إنها في الحق مصادفة عجيبة ، ولكنها على أية حال مجرد مصادفة .
وقالت المرأة :

— وهناك أيضاً " هاري كارتير " صاحب حانة " النجوم السبعة " ... لقد تبادلا كلمات عنيفة قاسية ، وبعد أسبوع واحد سقط " كارتير " في النهر وغرق ، ومع ذلك فلا لوم على السيد " أبوت " في هذه المشاحنة ، فإن اللوم كله يقع على " كارتير " .. ففي أحد الأيام ذهب إلى بيت السيد " أبوت " ، ووقف أمام الدار يسب ويلعن بأعلى صوته وباقذر الألفاظ؛ إذ كان مخموراً .
واستطردت السيدة " بيرس " :

— كان " كارتير " وحشا . ولا شك في أن موته كان إنقاذاً لزوجته المسكينة .
فقال " لوك " :

— لقد خلف وراءه ابنة أيضاً على ما سمعت .
— نعم ، وقد تردد أنه كانت بينها وبين السيد " أبوت " علاقة غرامية ، وتدعمت هذه الشائعات بعد أن ذهب " كارتير " إلى المحامي يسب ويلعن .

وحين هم "لوك" بالانصراف قالت له :

- إنني أعرف يا سيدي أنك مقيم في قصر اللورد "هويتفيلد" ، وأنتك تؤلف كتاباً عن السحر والسحرة .

ثم أردفت وقد أشرق وجهها :

- وأعرف أيضاً أنك ابن عم الأنسة "كونواي" ، وإنه ليسعدنا جميعاً أن نراها زوجة للورد "هويتفيلد" .

فشكرها "لوك" على حسن شعورها ، وانصرف وهو يفكر فيما سمع .

قال في نفسه : "ها هي ذي الآن شبهات قوية تقوم ضد المحامي "أبوت" .. تشاحن مع "هامبلباي" ، ومات "هامبلباي" .. تشاحن مع "كارتر" ، وإذ بـ "كارتر" يموت ... وأخيراً تنتهي إلى "تومي بيرس" . لقد ضبطه "أبوت" متلبساً بالاطلاع على خطاب شخصي جاءه من إحدى السيدات ، ولعل في الخطاب سرّاً لم يكن يريد لأحد أن يطلع عليه ، فاستقر رأيه على أن يسكته ويتخلص منه؛ حتى لا يفشي سره ، فدفعه من حافة النافذة ليسقط جثة هامدة ... والآن من تكون السيدة صاحبة الخطاب الشخصي ... ؟ أيكون من "إيمي جيبس" يا ترى ؟ ترى ، هل كانت بينهما علاقة غرامية ، فأخذت تهدده وتتوعده ... ؟ أو لعلها أرادت أن تبتز منه مالاً .. ؟ كما أنه من الجائز أن "إيمي" عرفت أن بينه وبين ابنة "كارتر" علاقة حب ، فسألته مالاً مقابل سكوتها ... وسواء كان هذا أو ذاك ، فإن الذي حدث فعلاً هو أن "إيمي جيبس" ماتت هي الأخرى متسممة بطلاء القبعات" .

كان "لوك" يتمشى على شاطئ النهر راجعاً إلى القصر ، وقد استغرقته هذه الخواطر . وفجأة لمح شخصين يسيران معاً في اتجاه الغابة .

وكانت مفاجأة مذهلة أن عرف في هذين الشخصين ، "بريدجيت كونواي" ابنة عمه المزعومة ، و "الزويرثي" صاحب محل التحف والعاديات .

كانا يتحدثان في اهتمام واستغراق .

وقال " لوك " في نفسه وقد أخذه العجب : " ترى فيم يتحدثان .. ؟ الحق أنني في دهشة من أمر هذه الفتاة .. ! ما الذي يمكن أن يربط بينها وبين " الزويرثي " وهو الرجل البغيض الممقوت .. ؟ "

وجعل " لوك " يتأمل " بریدجيت " والريح تعبث بشعرها الاسود الجميل ، وخصلاته تتمايل وتتأرجح خلفها متطايرة في الهواء ، حتى لتبدو وكأنها لا تسير وإنما تتراءى أشبه بملاك يهيم في الجو .

وقال في نفسه : " يالها من فتاة .. لقد فتنتني " .

- 10 -

جعله الصوت الرقيق الذي جاء من خلفه يستدير فجأة . كانت فتاة جميلة في نضرة الشباب ، ذات عينين زرقاوين قلقتين ، وشعر أشقر في لون الذهب ، ووجنتين متضرجتين كأنهما جذوة نار .

وقالت له الفتاة :

— إنك السيد " فيتزو ويليام " دون شك ، أما أنا فـ " روز هامبلباي " .. لقد أخبرتني " بریدجيت " أنك تعرف أناساً كانوا يعرفون أبي .

فأجابها :

— كان ذلك منذ زمن طويل .. قبل أن يتزوج أبوك .

— إنك تضع فيما سمعت كتاباً عن الخرافات المحلية وهذا في الواقع موضوع طريف .

فقال " لوك " باسمًا :

— وما يدريك ؟ إنه قد يخرج للناس كتاباً سخيفاً مملأً .

فقالت :

- لا أظن ذلك .

ثم أردفت متسائلة :

- ترى هل تؤمن بالآشباح والخرافات وما إلى ذلك .. ؟

فأجاب :

- قد يهتم المرء أحياناً بأشياء لا يؤمن بها . وأنت .. ؟ هل تؤمنين بالخرافات ؟
- لا .. إني لا أؤمن بها .. ولكن أحياناً تأتي موجات متتابعة من الحظ الطيب أو
الحظ السيئ .

ثم استطردت :

- ويخيل إليّ الآن أن " آش " في الوقت الحاضر هدف للعنة حاقت بها .. لقد
مات أبي .. وماتت السيدة " بنكرتون " تحت عجلات إحدى السيارات ..
وسقط " تومي بيرس " من حافة النافذة ... ووقع " كارتر " في النهر وغرق ...
لقد بدأت أبغض هذه البلدة .

فقال " لوك " :

- إني أقدر مشاعرك .

- لقد مات فجأة ، فكانت الصدمة شديدة الوقع على نفسي ... كما كان موت
السيدة " بنكرتون " أمراً محزناً .

وقال " لوك " :

- الحق أنها كانت سيدة لطيفة .

فاشرق وجه " روز هامبلاي " وسألته :

- إذن فقد كنت تعرفها .. ؟ لقد كنت أحبها ، ولكنها كانت تبدو في بعض
الأحيان جامحة الخيال .

فسألها :

- وما السبب .. ؟

– كانت دائماً تحذرنى من خطر يحيق بى ، وكنت إذا سألتها عما يدعوها إلى مثل هذا القول تجيبني بأن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد إحساس داخلي ، ومن الغريب أنها قبيل سفرها إلى "لندن" كانت تحس أن شراً سينزل بها ، وفعلاً دهمتها السيارة ، حتى بت أعتقد أنها كانت لها حاسة سادسة تكشف لها المستقبل .
وعقّب "لوك" بقوله :

– فى بعض الأحيان ينكشف المستقبل أمام بصيرة بعض الناس .
فقلت :

– وهذا ما يجعلني قلقة بعض الشيء عندما أذكر تحذيراتها لى .
– ينبغي يا فتاتي أن تنفضي عنك القلق .
وبدا على الفتاة شيء من التردد ثم قالت :
– ثمة شيء يتعلق بابنة عمك .. "بريدجيت" .
فسألها فى لهفة :

– أى شيء يا ترى .. ؟
– السيدة "بنكرتون" كانت قلقة بشأنها ، وكانت تبدو خائفة عليها .
وفى حركة فجائية أدار "لوك" رأسه ناحية الغابة حيث رأى "بريدجيت" و"الزويرثي" منذ دقائق يتجهان إليها .. إن "الزويرثي" يمارس السحر ، وهو رجل بغىض ، فهل يا ترى ينوي شراً بـ "بريدجيت" ؟!
وكانما كانت الفتاة تقرأ أفكاره ، فقد سألته :

– ترى هل تحب السيد "الزويرثي" .. ؟

فاجابها دون تردد :

– كلا بكل تأكيد .

فقلت :

– و"جيوفري" أيضاً لا يحبه .. أعني الدكتور "توماس" .

– وأنت .. ؟ مارأيك .. ؟

– هناك فيض من الشائعات تدور حوله .. لقد قيل إنه أقام حفلاً في حديقة السحرة في القرية .. حفلاً أمّه الكثيرون من أصدقائه القادمين من "لندن" ، وقد حضر "تومي بيرس" هذا الحفل .

وكان هذا النبأ مفاجأة لـ "لوك" . استدار إليها وسألها في صوت حاد النبرات :
– أموقنة أنت من أن "تومي" حضر هذا الحفل .. ؟

– هذا لاشك فيه .. وكان يلبس طرطوراً أحمر ومعطفاً من نفس اللون ، وكان ذلك في آذار (مارس) على ما اعتقد .. فـ "بيرس" بطبعه فضولي تواق إلى أن يعرف كل ما يجري في القرية .

فقال "لوك" في صوت خافت كمن يخاطب نفسه :

– لعله عرف إذن ما كان ينبغي الا يعرف .
واستطردت "روز" :

– لقد كان أيضاً ميالاً إلى القسوة . يضرب القطط ويعاكس الكلاب ويسب الأطفال .

– كان إذن من طراز لا يثير موته الأسى .

– هو ذلك ، ولكن الصدمة على أمه كانت شديدة .

– إن لديها على أية حال خمسة أولاد يسرون عنها .

– إذن فقد قابلتها ... إنها امرأة ثرثرة .

فقال "لوك" :

– صدقت .. فما إن اشتريت منها علبة سجائر حتى عرفت تاريخ أهل القرية جميعاً .

فقالت "روز" في نبرة تنم عن التذمر :

– إنها قرية كريهة .. فما من إنسان فيها إلا ويعرف كل شيء عن غيره .

فقال " لوك " في كلمات متمهلة رصينة :

— إن لكل إنسان سره يا فتاتي . إن المرء ليجهل حقيقة أقرب الناس إليه وأعزهم على قلبه .

فتطلعت إليه " روز هامبلباي " بعينين وجلتين وقالت :

— سيد " فيتز ويليام " .. أرجو ألا تردد هذه العبارات الخيفة .

فتأملها بنظرة عميقة وقال :

— وهل أخافتك كلماتي ؟

فاومات برأسها إيجاباً دون أن تتكلم، ثم استدارت فجأة وهي تقول :

— أظن أنه ينبغي أن أنصرف الآن .

ثم أردفت :

— إن أمي متلهفة إلى مقابلتك طالما تعرف بعض أصدقاء أبي ، فلعلك تفضل

بزيارتنا ..

— سوف أفعل بكل تأكيد .

ووقف " لوك " يتابعها ببصره وهي تبتعد ، وتمنى أن يبذل أقصى ما في وسعه

لكي يحميها مما قد يتهددها .

ولكن أي شر ذلك الذي يتهددها .. ؟ إنه في هذه اللحظة لم يكن يعرف الرد .

انتزع " لوك " من استغراقه في خواطره وقع أقدام تدق الأرض أمامه .

رفع رأسه وتطلع ، فإذا بالسيد " الزويرثي " يهبط التل راجعاً من الغابة ، تشيع

في سمات وجهه أمارات الرضا والارتياح . ولكنه كان وحده ، و " بريديجيت "

ليست في رفقته . وتسمر " لوك " مكانه يتنازعه الخوف والقلق .

أين " بريديجيت " إذن .. ؟ ولم رجع " الزويرثي " وحده ؟ ما الذي فعله بها ؟

وحيا صاحب حانوت التحف " لوك " فسأله هذا :

— يبدو أنك كنت تستمتع بمشاهدة الطبيعة الرائعة ...

وكان جواب " الزويرثي " :

- كلا .. كلا .. إني أمقت الطبيعة .. إنك تجد فيها المشهد الجميل جنباً إلى جنب مع المشهد القبيح الذي يثير التقرز .. إن من رأيي أن المرء لا يمكن أن يستمتع بالمشاهد الطبيعية إلا إذا تدخل الإنسان وهذبها بنفسه . إنني رجل أحب أن أستمع بحياتي يا سيد " فيتز ويليام " ، ولكن بشرط أن أجعل الحياة على الوجه الذي أرتضيه ويروق لي .

فتساءل " لوك " :

- وكيف يتسنى لك أن تفعل هذا ؟ ..

- إن الوسائل متعددة ، ولكن ينبغي أن يتوافر للمرء ذوق فني مرهف .
ثم أردف :

- ولكي يتذوق الإنسان الحياة يجب أن يكون مجنوناً .. إن العقل قيد على الحياة .. إنه يجعل المرء مرتبطاً بتقاليد معينة ، أما الجنون فمعناه الانطلاق الحر غير المقيد . معناه إرسال النفس على سجيته دون عائق أو قيد .

وأمسك " الزويرثي " عن الحديث بغتة ثم قال :

- يؤسفني أن حلت دونك ومتابعة رياضتك .

ولوح بيده يحيي " لوك " ثم استدار يتابع طريقه .

وعاود " لوك " شعور القلق :

.. ترى أين " بريدجيت " .. ؟ لماذا رجع " الزويرثي " وحده دونها وقد صعدا التل معاً ودخلا الغابة معاً . وتحول " لوك " يرتقي التل في خطوات سريعة والقلق يفري قلبه ... كانت الشمس قد غابت وراء الأفق ، والسماء تبدو ملبدة بالغيوم ، والجو كله مشحون ببوارد الشر والجريمة .

وانعطف الطريق بـ " لوك " إلى بقعة منبسطة معروفة باسم " حديقة السحرة " ، وهي المكان الذي اعتاد السحرة أن يعقدوا فيه مؤتمراتهم السنوي . وفجأة طغى عليه

شعور بالفرحة والابتهاج .

فهناك .. على قيد عشرات من الامتار لمح " بريدجيت " جالسة على الاعشاب ، وقد أسندت رأسها إلى راحتها ، مستغرقة في التفكير . وبادر إليها مسرعاً يستخفه الفرح .

وفي ببطء رفعت إليه " بريدجيت " رأسها ، وكان وجهها جامداً كأنما هو قطعة قدت من الصخر ، وبدا له من نظراتها أنها كانت شاردة في مكان بعيد سحيق ، كانت في دنيا أخرى ، وأنها ارتدت لتوها منها .

وصاح بها " لوك " وقد أخذه الخوف :

- " بريدجيت " .. إنك بخير ، أليس كذلك .. ؟

فتطلعت إليه في شيء من الدهشة وأجابت :

- إني بخير بالتأكيد .. ولكن لمَ هذا السؤال .. ؟

ولاحت على شفتي " لوك " ابتسامة بلهاء وأجاب :

- الحق لا أدري .. كل ما هنالك أن الخوف عليك غشيني فجأة .

ودار " لوك " ببصره فيما حوله ثم قال متسائلاً :

- إذن فهذه هي حديقة السحرة .. ؟

فاومات " بريدجيت " برأسها إيجاباً ، فاستطرد " لوك " :

- أترين ما يدور بخاطري وأنت جالسة في حديقة السحرة ، وخصلات شعرك

متدللة يعبث بها الهواء ؟

فتأملته وقالت :

- قل لي ما الذي يدور في رأسك .. ؟

فأجاب :

- يخيل إليّ وأنا أطلع إليك أنك إحدى الساحرات ، وأنه لا ينقصك إلا

مكنسة تجلسين عليها فتطير بك وتحملك إلى أي مكان ..

فابتسمت " بريدجيت " ابتسامة خفيفة وقالت :

- لقد ردد السيد " الزويرثي " على مسمعي نفس هذا المعني منذ لحظات .
فقال " لوك "

- " الزويرثي " .. ؟

- لقد التقيت به منذ قليل .

واستطردت :

- لقد تارقت ليلة الامس وكنت أفكر في هذه الامور التي تشغلنا ، وانتهيت إلى أنه إذا كان هناك قاتل حقاً ، فهو لابد أن يكون مجنوناً .

واستعاد " لوك " إلى ذاكرته حديث الدكتور " توماس " فقال لها :

- ولكن هذا القاتل المجنون يمكن أن يبدو عاقلاً ، مثلي ومثلك ، وليس ضرورياً أن تكون تصرفاته متسمة بالجنون .

واستطردت " بريدجيت " :

- وجعلت أدرس شخصيات أهل القرية ، وانتهيت إلى أنه إذا كان لابد أن يكون القاتل مجنوناً ، فهو لابد أن يكون " الزويرثي " ، ولا أحد سواه .. إنه شخص شاذ غريب الطباع .

فقال " لوك " في نبرة تنطوي على الاعتراض :

- ولكنه ليس الوحيد شاذ الطباع .

فقالت :

- ولكن انظر إلى يديه .. إن له يدين كريهتين .

فقال " لوك " :

- إذن فقد فطنت أنت أيضاً إلى هذا ؟

- أليس غريباً أن تفتقد يده اللون الأبيض ، وأن يشوبهما شيئاً من

الاخضرار .. ؟

فضحك " لوك " في مرج وقال :

- ولكننا لا نستطيع أن ندين إنساناً بتهمة القتل بسبب لون يديه .

- بالتأكيد لا .. إن ما ننشده هو الدليل القاطع .

وقال " لوك " مزمجرأ في سخط وغضب :

- الدليل القاطع .. ! بالتأكيد هذا هو ما نفتقر إليه ، ولكن القاتل الذي نحن

بصده حذر يقظ ..

وران عليهما الصمت برهة ، ثم قالت " بريджيت " :

- لقد خطرت لي أن أستدرج " الزويرثي " إلى الاعتراف ، إن كان هو القاتل ،

ولذلك بدأت خطواتي الأولى .

- حدثيني إذن بما فعلت .

- إنه من حين لآخر تعقد في هذه الحديقة اجتماعات سحرية يؤمها نفر من

أصدقائه القادمين من "لندن" ، وفي هذه الاجتماعات يمارسون طقوساً سحرية ،

للعردة والإباحية فيها أكبر نصيب ، وإنه ليخيل إلي أنه وأصدقائه يعبدون

الشیطان ، ويرقصون رقصات غريبة .

وقال " لوك " :

- لقد سبق أن اشترك " قومي بيوس " في إحدى هذه الحفلات ، ولبس معطفاً

وطرطوراً .

فقالت " بريджيت " :

- وهذا يفسر السر في مصرعه .

- اتعنين أن لسانه أفلت فتحدث عما شاهده ؟

- أعتقد هذا .. أو لعله حاول أن يبتز مالاً من " الزويرثي " ثمناً لسكوته .

فقال " لوك " مؤمناً على قولها :

- هذا محتمل .

- وعادت "بريدجيت" تواصل حديثها قائلة :
- لقد اهتمدنا حتى الآن إلى قيام علاقة بين " الزويرثي " وبين اثنين من الضحايا، هما " إيمي جيبس " و " تومي بيرس " .
- ولكننا لم نهتد بعد إلى وجود علاقة بينه وبين باقي الضحايا .. أعني "كارتر" والدكتور " هامبلباي " وربما كان الدكتور " هامبلباي " مجنوناً ، فقرر هذا أن يزيحه من الطريق ؟
- هذا احتمال جائز .
- واستطردت " بريدجيت " :
- لقد ألقيت شبكي اليوم حول " الزويرثي " . وغرضي أن يدعوني إلى حضور اجتماعه السحري القادم .
- فهتف بها " لوك " وقد غشيه شيء من الخوف :
- " بريدجيت " .. بالله عليك كوني على حذر .
- علت الدهشة وجهها وتأملتة في استغراب .
- وقال :
- لقد قابلت " روز هامبلباي " منذ قليل ، وجرّنا الحديث إلى ذكر السيدة "بنكرتون" فقالت لي الفتاة إن السيدة " بنكرتون " كانت تساورها المخاوف عليك .
- وماذا قالت أيضاً .. ؟
- السيدة " بنكرتون " كانت قلقة بشأنك .. كان هذا هو كل ما ذكرته .

- 11 -

- قال " لوك فيتز ويليام " معتذراً :
- أخشى أن أكون قد أخذت من وقتك أكثر مما ينبغي .

ورد مدير البنك السيد "جونز" وهو يلوح بيده :

- أبداً .. يا سيد "ويليام" .. إنني سعيد بلقائك .

وقال "لوك" :

- إن أمر هذه القرية عجيب حقاً ، فهي حافلة بالخرافات .

ورد السيد "جونز" بأن التعليم هو وحده الكفيل بالقضاء على الخرافات ، وأشار إلى ما فعله اللورد "هويتفيلد" بإنشاء مكتبة كبيرة في القرية؛ لتثقيف أهلها .

وقال :

- إنه رجل مكافح ، عرف كيف يصعد بكفاحه من الحضيض .

فقال "لوك" معقّباً :

- أو قل هو الحظ الذي رفعه .

فتطلع إليه السيد "جونز" ، فاستطرد "لوك" :

- إن الحظ هو الشيء الوحيد الذي يعول عليه .. ولنأخذ القاتل مثلاً لما نقول :

لِمَ ينجو القاتل من عاقبة جريمته، أهى قدرته أم هو الحظ ؟

ورد السيد "جونز" :

إن الأرجح أن الحظ هو الذي ينقذه .

فقال "لوك" مسترسلاً :

- ولنأخذ رجلاً مثل "كارتر" صاحب حانة "النجوم السبعة" .. من المعروف

أنه لا يكاد يفيق من سكره ، وأنه في كل ليلة يعبر القنطرة في رجوعه إلى داره ...

فلماذا .. ؟ لماذا في هذه الليلة بالذات تزل قدمه فيسقط في النهر ويغرق ... ؟

الحظ بالتأكيد .

فقال السيد "جونز" معلقاً وهو يبتسم :

- حظ سيئ لـ "كارتر" وحظ طيب لزوجته وابنته .

فقال "لوك" :

- لقد سمعت أنه كان يسومهما العذاب .
وقرع الباب ودخل أحد الكتبة يحمل دفتر الشيكات الذي طلبه " لوك " ،
فنهض وهو يقول :

- أرجو أن يكون الحظ قد حالفك هذا العام في سباق الـ "دربي" .. ؟
وأجاب السيد " جونز " بأنه لا يراهن أبداً على الخيل ، وأن زوجته تمقت
المراهنات مقمناً شديداً . فسأله " لوك " :

- إذن فانت لم تشاهد سباق الـ "دربي" هذه السنة ؟
- كلا بالتأكيد .. إني لم أشاهد السباق في حياتي إلا مرة واحدة ، وأنا بعد في
عنفوان الشباب .

- وأهل هذه القرية .. أهم مولعون بمشاهدة سباق الخيل ؟
- النقيب " هورتون " يذهب إلى السباق دائماً ، فهو مولع بالمراهنات . والسيد
" أبوت " يغلق مكتبه غالباً يوم السباق ويمضي إلى "لندن" .
وانصرف " لوك " ، وقد استقر رأيه على استبعاد السيد " جونز " من قائمة
المشتبه فيهم ، فإنه لم يبرح القرية يوم السباق فلم يكن في "لندن" ساعة
مصرع السيدة "بنكرتون" أما السيد " أبوت " و " النقيب " هورتون " فقد
زارا "لندن" يوم أن دهمت السيارة السيدة " بنكرتون " ويمكن أن يكونا
محلاً للاشتباه .

وقال " لوك " في نفسه : "والدكتور " توماس " .. ؟ ترى، هل كان في "لندن"
في ذلك اليوم .. ؟ و " الزويرثي " .. ؟ أتراه غادر القرية .. ؟ إن عليه أن يستوثق
بهذا ، وإن لم يفته أن مصرع " بنكرتون " قد يكون مجرد حادث عادي من
حوادث القضاء والقدر ، على أنه ما لبث أن نبذ هذه النظرية ، فقد كان مصرع
السيدة " بنكرتون " - وهي تهم بعبور الطريق داخله إلى " اسكتلنديارد " -

أغرب من أن يقع مصادفة ، بل أغلب الظن أنها جريمة متعمدة " .
ومضى من فوره إلى جراج " بيبول " الذي يعمل فيه خطيب " إيمي جيبس " التي ماتت متسمة بطلاء القبعات .

وتلقاه صاحب الجراج مرحباً ، ورفع غطاء السيارة و " لوك " يشرح له مواطن الخلل المزعوم الذي يحس به ، ونادى الرجل الميكانيكي الشاب :

- " جيم " ... هل لك أن تأتي هنا لحظة .. ؟

إذن فهذا هو " جيم هارفي " خطيب " إيمي " .

وفحص الميكانيكي السيارة ، وقال إنه لا عيب بها ، غير أن الكهرباء تحتاج إلى شيء من الضبط ، و " البوجيهات " في حاجة إلى غسلها وتنظيفها . ووافق " لوك " على أن يتركها في الجراج حتى الصباح .

وقال " لوك " عرضاً وهو يهم بالانصراف :

- ترى هل حالفك الحظ في سباق الـ " دربي " . ؟

- كلا بكل أسف .. لقد خيب " كلاريجولد " ظني .

- أما " جوجوب " فكان الأول على عكس التوقعات . وأردف " لوك " متسائلاً
استطراداً للحديث :

- ألم تشاهد سباق الـ " دربي " في حياتك .. ؟

- لا لم أشاهده بكل أسف ، وإن تمنيت أن أشاهده . وقد هيأت لي الظروف هذا العام تذكرة مخفضة إلى نصف ثمنها ، ولكن صاحب الجراج أبى أن يمنحني إجازة

وانصرف " لوك " وقد استبعد " جيم هارفي " من قائمة المشتبه فيهم . إنه لم يكن في " لندن " يوم مصرع السيدة " بنكرتون " ، فهو إذن لم يكن القاتل الخفي الذي دهمها بسيارته .

وفيما هو عائد إلى القصر سائراً بمحاذاة النهر إذا به يلتقي بالنقيب " هورتون "

وكلايه .

وللمرة الثانية مضى " هورتون " يحدج " لوك " بنظرات جسورة دون حياء .
ولكنه ما لبث هذه المرة أن وجه إليه الحديث قائلاً :

- معذرة عن تطفلي يا سيدي ، ولكنك السيد " ويليام " فيما أظن .. ؟
- تماماً يا سيدي .

- وأنا النقيب " هورتون " . أعتقد أننا سوف نلتقي غداً في مباراة التنس في
قصر اللورد " هويتفيلد " ، فقد تفضلت الآنسة " كونواي " بدعوتي إلى المشاركة
في اللعب . إنها ابنة عمك فيما سمعت . ؟

- نعم .. إنها ابنة عمي .
وسار الرجلان معاً ، و كلاب النقيب " هورتون " " البولدوج " تتقدمهما .
وقال النقيب :

- إنني مغرم بهذا النوع من الكلاب ... إنها شديدة الوفاء . ثم أردف :
- إن مسكني قريب من هنا ، فلم لا تصحبني لتتناول قدهاً من الشراب ،
والفاها " لوك " فرصة سانحة تهيبء له أن يعرف المزيد عن " هورتون " .
وأخذ النقيب يحدثه عن الجوائز التي فازت بها بعض كلابه في شتى المباريات ،
حتى انتهيا إلى البيت .

وقاد النقيب ضيفه إلى قاعة استقبال انتظمت على جدرانها صفوف من الكتب ،
ثم انهمك في إعداد الشراب .

وكانت فوق رف المدفأة صورة مرسومة بالزيت لإحدى السيدات ، وتطلع إليها
" لوك " يتأملها .

وقال " هورتون " :

- إنها صورة زوجتي ... لقد كانت امرأة عظيمة .. تأمل وجهها .. إن قسماته
توحي بقوة شخصيتها ، أليس كذلك .. ؟

فقال " لوك " مؤمناً :

- إنها تبدو فعلاً قوية الشخصية .

وعاد النقيب يقول :

- إنها امرأة عظيمة .. ومن سوء الحظ أنني رزئت بموتها منذ عام تقريباً . ومنذ وفاتها لم أعد ذلك الرجل الذي كنته من قبل .

فقال " لوك " :

- حقاً .. ؟ هذا شيء يؤسف له .

- إنني أفقدها . إن الرجل في حاجة دائماً إلى زوجة تسانده وتحشه وتشجعه .

واستطرد النقيب " هورتون " في لهجة من الآسي :

- لا أنكر أن الزواج في البداية يبدو كريهاً ، إذ يجد الرجل نفسه فجأة مقيداً وقد كان من قبل حراً طليقاً . ولكنه لا يلبث أن يدرك أن الزواج ليس قيوداً ، وأغلاً .. إنه النظام بدلاً من الفوضى .

وكان " لوك " يدرك مما عرف به من قبل أن السيدة " هورتون " أذاقت زوجها الويل ، وأنها كانت متسلطة عليه . وسأل " هورتون " :

- أمتزوج أنت يا ترى .. ؟

- لا ... إنني لم أتزوج بعد .

- في الوقت المناسب سوف يحين الأوان ، وعندها تذكر قولتي يا بني . ليس كالزواج متعة .. كانت " ليديا " واحدة في الألف ... كان الناس جميعاً يجلونها .

واستطرد " هورتون " :

- كانت امرأة فريدة .. كانت تكره اللغو والسفاسف . وكانت إذ تحدج أي إنسان بنظرها ، فإذا به ينكمش وينهار .. كانت لدينا بعض الوصيفات ولكنها

عرفت كيف تخضعهن وتلزمهن الأدب .

وتابع النقيب " هورتون " الحديث بقوله : - هل تعرف أننا استخدمنا في سنة واحدة أكثر من خمس عشرة طاهية ووصيفة .. ؟
وآثر " لوك " أن يجاري صاحبه ، وأن يطري براعة زوجته .
واستطرد " هورتون " :

- إذا لم ترقها الطاهية أو الوصيفة قذفت بها إلى قارعة الطريق بغير تردد ..
- ولكن قد يكون الأمر شاقاً على ربة البيت في بعض الأحيان إذا ما خلا البيت من الخدم .

- إننا لم نشعر قط بمثل هذه المشقة ، فإنني أجيد الطهي إلى درجة كبيرة ، فإذا ما طردنا الطاهية حللت مكانها على الفور . كما أنني لم أكن أبالي بأن أغسل الأواني والصحون .. إن في غسلها يا صديقي متعة كبيرة .. كما أنني أجيد عملية الكنس .

ووافقه " لوك " على مضض على أن يغسل الصحون والأواني متعة لذيذة .
وسأله " لوك " :

- وزوجتك .. ؟ ألم تكن تساعدك في الأعمال المنزلية .. ؟
وكان جواب النقيب " هورتون " غاية في الغرابة .

قال :

- إنني لا أحب أن أركن إلى زوجتي . على أنه ما لبث أن أردف قائلاً :
- وفضلاً عن هذا فقد كانت صحة " ليديا " من الرقة والضعف بحيث لا تحتمل عبء الأعمال المنزلية ، فأثرت أن أتولاها بنفسني .

- إذن فالسيدة " هورتون " لم تكن قوية البنية .. ؟
- كانت روحها المعنوية عالية ، فكانت تأبى أن تتخلى عن واجباتها وتستسلم ،
أما الأطباء فكانوا لا يدركون علتها .. إن الناس يزعمون أن " هامبلباي " طبيب

قدير ، ولكن الواقع أنه من أشد الأطباء جهلاً ... إني أعتقد أنه لم يسمع قط عن شيء اسمه الاضطرابات العصبية ... لقد عجز عن تشخيص مرض "ليديا" ، واضطرت أن أصارحه بهذا دون موارد ، فغضب وانصرف إلى غير رجعة ، فما كان مني إلا أن استدعيت الدكتور "توماس" .

– إذن فقد كنت تؤثره على "هامبلباي" .. ؟

– إنه أقدر من "هامبلباي" ... والواقع أنها بدأت تتحسن على يديه ، لولا أن عاجلتها المنية .

فقال "لوك" متسائلاً في لهجة بريئة براءة الأطفال :

– أكان موتها هينا ، أم كابدت الأوجاع ؟

وأجاب النقيب "هورتون" :

– بل كابدت آلاماً شديدة ، فقد أصيبت بنزلة معوية حادة ... مسكينة "ليديا" لقد تعذبت كثيراً .. وقد جئت لها بأكثر من ممرضة ، ولكنها كانت تطردهن واحدة بعد الأخرى . كانت تقول عنهن إنهن يضعن لها السم في الطعام والشراب ... بالتأكيد لم يكن هذا صحيحاً ولكن هؤلاء الممرضات كن قاسيات على "ليديا" يصدرن لها التعليمات الطبية في صرامة ، كان لا إرادة لها ، فكرهتهن جميعاً .

وقال "لوك" :

– أعتقد أنه كان للسيدة "هورتون" صديقات كثيرات في "آش" .. !

– أوه ! إن الناس كانوا يحبونها كثيراً ويحاملونها دائماً ... فاللورد

"هويتفيلد" كان يبعث إليها من حين لآخر بعنب ودراق (خوخ) من حديقته ... وكانت بعض صديقاتها القدامى يأتين ليجلسن معها ويؤنسن وحدتها ... "هونوريا وينفليت" مثلاً و "لافينيا بنكرتون" .

وتساءل "لوك" :

اكانت السيدة " بنكرتون " تتردد عليها ؟

- نعم ... كانت سيدة طيبة القلب ، وكانت تستفسر دائماً عن الادوية والاطعمة التي تتناولها ... كان هذا منها دليلاً على العطف والمحبة ، ولكنني كنت أرى فيه مبالغة لا داعي لها .

- إنك محق في هذا ، فانا مثلك لا أطيق المبالغة .
وتحوّل الحديث إلى الألعاب الرياضية وقال النقيب :
- ليس في هذه القرية اللعينة من يجيد لعب الجولف .
فتساءل " لوك " :

- والسيد " الزويرثي " صاحب محل التحف .. الا يلعب الجولف .. ؟
- إنه رجل بغيض ، وأنا لا أطيقه .
- هل مضت عليه في " آش " مدة طويلة ... ؟
- سنتان فقط .. ومن الغريب أن " ليديا " كانت تثق به ، فتناولت بعض الادوية التي يصنعها من الأعشاب ، ولكنها لم تأتِ بالنتيجة المنشودة .
- وما رأيك في المحامي " أبوت " ؟ فإنني في حاجة إلى استشارة قانونية .
- يقولون إنه ذكي قدير ، ولكنني في الواقع لا أدري الحقيقة ، فقد تشاجرت معه عندما حضر لكتابة وصية زوجتي قبل موتها .. إنه في رأيي رجل مغرور متعال .
فقال " لوك " :

- لقد تناهى إليّ أنه رجل مشاكس .
- هذا صحيح ، فقد تشاحن مع " هامبلباي " مشاحنة شديدة .
واستطرد النقيب " هورتون " يقول :
- هل يمكنك أن تتصور أن يموت الدكتور " هامبلباي " متسماً من خدش أصاب يده .. ؟ لو أنه بادر إلى تطهيره لما أصابه سوء ، ولكنه أهمل وتهاون .
ونهض " لوك " يستأذن في الانصراف .

وفي الطريق قال لنفسه : " هذا غريب .. الناس جميعاً يرددون ان " ليديا " اذقت زوجها " هورتون " أسوأ العذاب ، وهو يحدثني عن سعادته الزوجية ، ومدى حسرته على فقد زوجته .. فهل هو الكاذب أم الناس هم الكاذبون .. ؟ "

- 12 -

كانت مباراة التنس طريفة ممتعة ، وكان اللورد " هويتفيلد " رضي المزاج ، صافي البال ، يرحب بضيوفه في مودة وحرارة ، وكان ضيوفه هم : " لوك فيتز ويليام " ، و " روز هامبلباي " و " أبوت " المحامي ، والدكتور " توماس " ، والنقيب " هورتون " ، و " هيتي جونا " ابنة مدير البنك .

وفي الشوط الثاني من المباراة ألفى " لوك " نفسه يلعب مع " بريديجيت " ضد اللورد " هويتفيلد " و شريكته " روز هامبلباي " التي كانت بضرباتها السديدة تعوض أخطاء اللورد " هويتفيلد " وفتاته ، واستطاع " لوك " و " بريديجيت " أن يسجلا من النقط لصالحهما خمساً إلى ثلاث .

وعندئذ لاحظ " لوك " أن اللورد " هويتفيلد " يفقد أعصابه ويعترض في عصبية على بعض نقط الخطأ أو الفوز ، وبدا مسلكه أشبه بطفل مشاكس ، كما لاحظ أيضاً أن " بريديجيت " بدأت فجأة تفقد مهارتها في اللعب ، وأخذت أخطاؤها تتوالى . وانتهى الشوط بأن كسب اللورد وزميلته وخسر " لوك " وشريكته " بريديجيت " .

وعندئذ لم يعد اللورد ذلك الطفل المشاكس الغضوب وإنما عادت إليه بشاشته ، وزايله تهمهمه ، واستوى على أحد المقاعد يجفف عرقه ، ويدير في الحاضرين نظرة راضية تفيض سعادة بانتصاره في اللعب .

وقال " لوك " مخاطباً " بريديجيت " :

- هل لك أن ترافقيني لمشاهدة حديقة الخضر ؟

وحين انتهيا إلى الحديقة سألها " لوك " :

- بالله عليك لم تعمدت أن تخسري الشوط .. ؟

- أنا تعمدت أن أخسر .. ؟ ليس هذا صحيحاً .

- أو تحسبين أنك يمكن أن تخدعيني .. ؟

فردت :

- إني لاعبة مبتدئة .

فقال لها " لوك " في عناد وإصرار :

- دعك من المراوغة ...

فاستدارت إليه ، وتطلعت إلى وجهه وقالت :

- نعم .. لقد تعمدت أن أخسر .

- وما السبب .. ؟ أريد أن أعرف السبب .

- السبب واضح .. " جوردون " لا يحب الهزيمة ..

- وأنا .. ؟ ألم يخطر ببالك قط أنني أنا أيضاً لا أحب أن أهزم .. ؟

فأجابت :

- إن " جوردون " عندي في المقام الأول .. إنه مصدر نعمتي ، وأما أنت فلا .

وانفجر " لوك " صارخاً :

- بحق السماء ! لم تريد أن تتزوجي هذا الرجل القصير القميء .. ؟ هذا

الرجل السخيف الثقيل الظل .. ؟

وتأملت " بريدجيت " بنظرة مأكرة ، ثم أجابت :

- لأنني بصفتي سكرتيرته أتقاضى ستة جنيهات في الأسبوع ، أما بصفتي زوجته

فسوف يسجل باسمي عند إبرام عقد الزواج أملاكاً مقدارها مائة ألف جنيه ،

وسوف يعطيني علبة مليئة باللائيء والملاسات ، فضلاً عن مرتب شهري ضخمة ،

فهل أدركت الآن لم أنوي أن أتزوج اللورد " هويتفيلد " .. ؟

فقال "لوك" في مرارة وقسوة لاذعة :

- ومقابل هذا تمنحينه قبلاتك وجسدك .

فقالت "بريدجيت" في لهجة تتسم بالبرود :

- إذا كنت تحسب أن "جوردون" يتهالك على الحب فانزع هذه الفكرة من رأسك حالياً ... إن "جوردون" - كما لعلك أدركت - ليس إلا طفلاً كبيراً ... إنه في حاجة إلى أم وليس زوجة ... لقد فقد أمه وهو بعد في الرابعة من العمر ، فلا بد له أن يستعيض عنها بزوجة تقوم عنده مقام الأم ... زوجة تؤكد له دائماً أنه رجل عظيم ، وتصغي إلى حديثه عن نفسه وعن عظمته .. ذلك الحديث الذي لا ينقطع أبداً .

فقال لها "لوك" في سخرية قاسية :

- وسوف تكونين أنت هذه الزوجة ... أو بعبارة أخرى هذه الأم الحانية العجوز ..

فقالت :

- ثقبان مهنتي كزوجة لـ "جوردون" لن تختلف كثيراً عن مهنتي كأم له .
وأؤكد لك أنه بعد عام واحد سينسى أن يقبلني قبلة المساء ... إن الفرق الوحيد إنما يكمن في المرتب . وتبادل الاثنان نظرات غاضبة حانقة . وقالت "بريدجيت" :
- إنني أعرف ما يدور عني في ذهنك الآن .. إنك تقول لنفسك : "إنني أبيع نفسي مقابل المال" .

فصرخ فيها :

- إنك امرأة بلا قلب .

فقالت وهي تهز كتفيها في غير احتفال :

- إنني لأؤثر أن أكون امرأة بلا قلب ولا أتضور جوعاً .. على أن أكون امرأة بقلب تستجدي لقمة العيش .

واشتد الانفعال بـ "بريدجيت" وقالت في صوت يرتجف تأثراً :

- أو تعرف أنت معنى الحب .. ؟ كان في حياتي رجل يدعي "جونى كورنيش" .. أحببته ، وأخلصت له الحب ، وأفنيت نفسي فيه ... وإذا به فجأة يتخلى عني ، ويركل حبي في وحشية ، لكي يتزوج امرأة ثرية ... منذ هذه اللحظة كفرت بالحب وبالرجال جميعاً .

وران عليهما السكوت برهة طويلة .

وأخيراً تكلمت "بريدجيت" ... قالت في صوت متوتر :

- ومع ذلك ، فباي حق تتدخل في شؤوني .. ؟

فصمت "لوك" طويلاً قبل أن يجيب . وعندما تكلم كان وجهه شاحباً ، وفي كل كلمة من كلماته نبضة ألم وعذاب .

قال :

- إن لي كل الحق في أن أتكلم .. حق الرجل الذي يهتم بك . وارتدت "بريدجيت" خطوة إلى الوراء . تأملت وجهه في دهشة وهمست :

- أتريد أن تقول ...

وأمسكت وهي مازالت تحدجه بنظراتها .

وأوماً "لوك" برأسه وقال :

- إنه شيء مضحك في نظرك ، اليس كذلك .. ؟ إذن اضحكي إن شئت فلن

الومك .

واستطرد :

- لقد جئت إلى هذا البيت في مهمة بوليسية فإذا بك تسحرينني .. نعم .. هذا هو ما حدث فعلاً .. إنك سحرتني .

كان "لوك" يطلق كلماته في انفعال وهياج ، وقد تخرج وجهه احمراراً .

واستطرد :

- إنني أحبك بجنون يا "بريدجيت كونواي" ... وهذا الحب هو الذي يجعلني أرفض أن أقف مكتوف اليدين ، وأنا أراك تتزوجين رجلاً يفقد أعصابه ويثور هياجاً إذا خسر شوطاً من أشواط التنس .

فسألته "بريدجيت" في لهفة تنم على عدم الاكتراث :

- وما الذي تقترحه يا ترى ؟

- أقترح أن تتزوجيني ، وهذا في رأيك اقتراح مضحك بغير شك .

فقال في برود :

- الواقع أنني بدأت أضحك منذ بداية الحديث كله وليس الآن فقط .

قال :

- حسناً ... الآن عرف كل منا موقفه ، وأظن أنه يحسن بنا أن نعود إلى ملعب

التنس ، وسوف تجديني شريكاً عنيداً يصصر على أن يكسب الشوط .

- إنك إذن مثل "جوردون" يثير غضبك أن تهزم .

فاستدار إليها "لوك" ، وأمسك بكتفها فجأة وقال :

- إن لك لساناً لاذعاً .. أليس كذلك يا "بريدجيت" ؟

فقال :

- أعتقد يا "لوك" أنك لا تميل إليّ كثيراً ، وذلك على الرغم من عاطفتك

المتأججة .

فاجاب :

- أعتقد أنني لا أميل إليك على الإطلاق .

وسألته :

- أكنت تنوي عندما عدت إلى الوطن أن تتزوج وتستقر .. ؟

- تماماً .. هذا فعلاً هو ما كان يدور في خاطري .

- ولكنك لم تكن تنوي أن تقترن بامرأة من طرازي .

- إنني أكره أن أتزوج امرأة مثلك .. إنك أكثر ذكاء مما ينبغي .
وفجأة رفع ذراعيه عن كتفها ، واستدار متجهاً إلى ملعب التنس وهي إلى
جانبه ، دون أن يتبادلا كلمة واحدة .
كان القوم قد فرغوا من لعب التنس ، فجلسوا يصيرون شيئاً من الراحة ، ثم جاء
الشاوي .

وأخذ اللورد يتحدث إلى الدكتور " توماس " عن زيارة قام بها لمعامل الدكتور
" ويلرمان كريتنز " للأبحاث الطبية .
وقال :

- كان يهمني أن أفهم الاتجاه الذي تسير فيه أحدث الاكتشافات العلمية ..
إنني مسؤول عما ينشر في صحفي ، وهي مسؤولية أعتز بها ، ونحن في عصر
العلم ، ولهذا يجب أن نقدم العلم إلى الجماهير ، ولكن في أسلوب مبسط لا
يستغلق فهمه على عامة الشعب .

فقال الدكتور " توماس " وهو يهز كتفيه بلا مبالاة :

- إن القليل من العلم قد يكون خطراً على الناس ، فهو يجعلهم يعتقدون أنهم
يعرفون ، مع أن الحقيقة أنهم لا يعرفون شيئاً على الإطلاق .
فقال اللورد " هويتفيلد " في إصرار :

- إن ما نحن في حاجة إليه هو " العلم المبسط " .. العلم للشعب .
واستطرد اللورد في حديثه يصف زيارته للمعامل :

- الحق أن " ويلرمان " أخرجني بإصراره على مرافقتي بنفسه .. لقد رجوته أن
يعهد إلي أحد مساعديه بمصاحبتني ، ولكنه أبى إلا أن يرافقني شخصياً .
فقال " لوك " :

- لا أقل من هذا .. ذلك أمر طبيعي .
وبدا اللورد " هويتفيلد " ممتناً شاكراً .

وتحدث " هويتفيلد " برهة عن الامصال التي تم اكتشافها ، وبعد أن أفاض في الحديث نهضت " روز هامبلباي " تستأذن في الانصراف ، فقال " لوك " :
- سأصحبك لأحمل عنك مضرب التنس ، فضلاً عن أنني أريد أن أتمشى قليلاً .
وسارا معاً يتبادلان حديثاً عادياً عن الجو ، ثم أشار " لوك " إلى ما استولى على اللورد " هويتفيلد " من غضب عندما أوشك أن يخسر شوط التنس ، وعقبت " روز " على هذا بأنها تفتن إلى الأمر .

وأخيراً قال " لوك " عندما انتهيا إلى بيتها :
- أسمحين لي يا آنسة " هامبلباي " بأن أكون فضولياً ... لقد أردت أن أقول إن الدكتور " توماس " رجل محظوظ ...
فقالت :

- أوه ! إذن فقد سمعت بالأمر .. ؟
- أكان مفترضاً أن يكون الأمر سرّاً . ؟
فقالت " روز " :
- ليس في هذه القرية شيء يمكن أن يظل سرّاً مطويّاً ... كل ما هنالك أننا لم نشأ أن نعلن خطبتنا رسمياً في حياة أبي .
فسألها " لوك " :

- أكان معترضاً على زواجكما .. ؟
- لم يبلغ الأمر حد الاعتراض .. كل ما هناك أنه لم يكن راضياً عن زواجنا .
- لعله كان يرى أنك أصغر من أن تتزوجي .
- هذا هو ما كان يردده .

- إذن فأنت تعتقدين أنه كان لديه سبب آخر ؟
فترشت " روز " برهة قبل أن تجيب بقولها :
- الذي أعتقد أنه أبي لم يكن يحب " جيوفري " .

– أكان بينهما عداً شخصي .. ؟

– في بعض الأحيان كان الأمر يبدو على هذه الصورة ... لقد كان أبي من رجال المدرسة القديمة في الطب .. إنهما من طرازين مختلفين تماماً . وفي بعض الأحيان كانا يصطدمان ، ولكن " جيوفري " كان دائماً صبوراً متسامحاً .
وسالها " لوك " :

– ولكن ألم يفصح أبوك قط عن الأسباب التي جعلته غير راضٍ عن الدكتور "توماس" .. ؟

– نعم ... لم يفصح بشيء ... إنه لم يذكر لي أي سبب .

– هل الدكتور "توماس" سكير أو مولع بالمراهقات ؟

– كلا .. مطلقاً ... وأحسب أنه لا يعرف حتى الآن إن كان سباق الـ "دربي" قد

انتهى أم لم يبدأ بعد .

فقال "لوك" كاذباً محاولاً أن يكتشف الحقيقة :

– هذا عجيب ، فقد خُيِّل إليّ أنني رأيت في حلبة المباراة يوم الـ "دربي" رجلاً

يشبه الدكتور "توماس" .

– "جيوفري" في سباق الـ "دربي" ؟ لقد أمضى في "أشورلد" طوال اليوم تقريباً

يشرف على حالة وضع .

فقال لها في استغراب :

– إن لك ذاكرة قوية .

– إنني أذكر ذلك اليوم تماماً ، فقد أخبرني "جيوفري" أن والديين أطلقا على

مولودهما اسم "جوجوب" ؛ تيمناً باسم الجواد الفائز في الـ "دربي" .

ثم أردفت :

– وعلى أية حال فإن "جيوفري" لا يغشى أبداً مباريات السباق ؛ لأنه يراها ممة

بضجتها التي لا تحتمل .

وحين هم "لوك" بتحيتها والانصراف قالت له "روز" :

- لمَ لا تقابل أمي .. ؟ إنها تواة إلى لقائك .

فأجاب :

- وإنني لاكون سعيداً بالتعرف إليها .

قدمت "روز هامبلباي" السيد "لوك فيتز ويليام" إلى أمها فبادلته الام التحية ثم

قالت له :

- إنني سعيدة بمقابلتك يا سيدي ، فقد أبلغتني ابنتي أن لك أصدقاء كانوا

يعرفون زوجي .

ولم يجد "لوك" مفراً من أن يواصل كذبه فقال :

- كانوا يعرفونه يا سيدة "هامبلباي" وهو بعد في مستقبل حياته ، ثم انقطعت

الصلة بينهم وبينه .

فقالت الأرملة الشكلي الحزينة :

- لكم كنت أتمنى لو أنك قابلته يا سيدي ، فقد كان رجلاً عظيماً ، وطبيباً بارعاً

وكثيرون تم شفاؤهم على يديه .

فقال "لوك" مجاملاً :

- لقد سمعت ثناءً كثيراً عليه .

وفجأة قالت المرأة في انفعال :

- السيد "فيتز ويليام" .. هل تعلم أن الدنيا مليئة بالشورور ؟

فأجاب :

- صدقت .. إن الشر موجود في كل مكان .

فعادت تردد وقد اشتد بها الانفعال :

- ولكن هذه القرية بالذات هي الشر مجسداً ..

ثم استطردت :

- وكان زوجي يعلم هذا ، وهو رجل صادق أمين لا يتحازز إلا إلى الحق .
فجأة انهمرت عبراتها وارتجف جسدها . ونهضت واقفة ومدت إليه يدها
تصافحه وهي تقول :
- إني آسفة .. لقد غلبني التأثير . إني آسفة ، ولكن يجب أن تزورنا مرة
أخرى .. إن ابنتي تميل إليك كثيراً .
فقال "لوك" مؤكداً :
- وأنا أيضاً أميل إليها .
وانصرف تاركاً السيدة "هامبلباي" وراءه منتصبه في وسط الردهة ، وأصابعها
تتقلص وترتعش .
وفي طريق العودة جعل يفكر في المعلومات الجديدة التي ظفربها .
لقد عرف أن الدكتور "توماس" يوم سفر السيدة "بنكرتون" إلى "لندن" كان متغيباً
عن القرية يشرف على حالة وضع طوال النهار . ولكنه هو الذي يزعم ذلك ، ولا أحد
يؤيده في قوله . ثم إن بين القرية التي كان فيها وبين "لندن" 48 كم يمكن أن يقطعها
بسهولة ، فيدهم السيدة "بنكرتون" ويقتلها ، ثم يعود دون أن يفطن أحد .
ولكن ما الذي قصده السيدة "هامبلباي" بقولها إن القرية حافلة بالشروع ؟..
أتراها تعرف شيئاً معيناً ؟
أسئلة تدفقت على ذهنه دون أن يجد لها جواباً .

- 13 -

في صباح اليوم التالي اتخذ "لوك فيتز ويليام" قراراً حاسماً .
لقد جاء إلى "آش" ليجري تحرياته في الخفاء ، زاعماً أنه بسبيل تأليف كتاب عن
المعتقدات السحرية . ولكن لا بد في يوم من الأيام أن يعمل على المكشوف .. فلم
لا يبادر منذ الآن بإظهار حقيقة أمره ، والكشف عن الهدف الذي حدا به إلى

القدوم إلى هذه القرية .. ؟

وهكذا قرر أن يبدأ تحرياته الجديدة بزيارة "هونوريا وينفليت" ، وأن يكشفها دون مواربة بحقيقة مهمته .

إنه لم يكن قانعاً بالحديث الذي جرى بينهما من قبل ، فقد استشف منه أن هذه المرأة المتوقدة الذكاء تعرف شيئاً معيناً ، وأنها تكتمه دونه فلعله يستطيع في هذه المرة أن يستدرجها إلى الحديث ..

واستهل "لوك" حديثه معها بقوله :

- أعتقد أنك خمنت السبب في قدومي إلى هذه البلدة ، وأنني لم أحضر لكي أضع كتاباً كما زعمت ..

وأومات الآنسة "وينفليت" برأسها إيجاباً ، ولكنها ظلت لائذة بالصمت ، تصغي إلى ما يقول .

واستطرد "لوك" :

- لقد جئت ؛ لكي أتحرى عن الظروف التي أحاطت بوفاة هذه المسكينة "إيمي جيبس" .

فسأله :

- هل البوليس هو الذي أوفدك .. ؟

- لا .. لا .. إنني مخبر خاص .

- إذن فـ "بريدجيت كونواي" هي التي استدعتك .. ؟

وقرر "لوك" أن يتجاوز عن الرد على هذا السؤال .

واستطردت الآنسة "وينفليت" :

- إن "بريدجيت" فتاة عملية . أما أنا فما كنت لأقدم على مثل هذه الخطوة إلا بعد أن أكون موقنة بالامر .

- ولكنك موقنة بالتاكيد يا آنسة "وينفليت" ؟

فأجابته :

- كلا يا سيد "فيتز ويليام" ... إنني لست موقنة بشيء على الإطلاق.... وأغلب الظن أن الأوهام استبدت بي فتخيلت أشياء لا وجود لها .
- فقال "لوك" محاولاً أن يستدرجها إلى الإفشاء بدخيلة نفسها :
- ولكنك على الأقل موقنة بهذه الأشياء التي تتوهمينها .
- فقالت المرأة وعلى شفيتها ابتسامة خفيفة :
- يبدو أننا نتكلم بالأحاجي والألغاز .
- إذن فلا بسط الأمر في وضوح .. هل تظنين أن " إيمي جيبس " ماتت مقتولة ، لا قضاء وقدرًا .. ؟
- كان موتها أمراً محزوناً دون شك ... وأيضاً مفاجئاً .
- وظننت أن موتها لم يكن طبيعياً ... ؟
- هذا صحيح .
- وظننت أيضاً أن موتها لم يكن حادثاً عارضاً . ؟
- فأجابت :
- لقد بدا لي أن موتها بهذه الطريقة ليس أمراً محتملاً .
- وبالتأكيد لم يدر بخلدك أنها انتحرت .. ؟
- فأجابت بلهجة قاطعة تدل على اليقين :
- إنها قطعاً لم تنتحر .
- إذن فلا بد أنك اعتقدت أنها قتلت ..
- وترددت الآنسة " وينفليت " برهة ، ثم قالت :
- نعم .. لقد خطر لي أنها قتلت ... ولكنها كانت مجرد فكرة طارئة ، إذ كنت أفكر إلى الدليل .
- تماماً ... إنما مازلنا نفتقر إلى الدليل ، ولكن أرجو أن تتذكري يا آنسة

"وينفليت" أننا نتحدث عن خواطرننا وظنوننا . إننا نشبهه في أن "إيمى جيبس" قتلت ، فمن هذا الذي نظن أنه قتلها ؟
وهزت الآنسة "وينفليت" رأسها ، ولبثت صامتة .
وقال "لوك" :

– من الذي لديه دافع يحمله على قتلها ؟
وفي بطاء وتمهل قالت الآنسة "وينفليت" :
– أعتقد أنها تشاحت مع خطيبها "جيم هارفي" وإن كنت أعتقد أنه لا يمكن أن يقدم على هذه الفعلة .

وأوما "لوك" برأسه يقرأها على رأيها ، ثم استطرد :
– إننا متفقان على أن "إيمى جيبس" قتلت ... فهل لديك أية فكرة مجرد ظن عمن يكون القاتل ؟
فاجابت :

– لا .. ليست لدي أية فكرة عن هذا .
– وهل لديك فكرة عن الدافع إلى القتل ؟
– ولا هذا أيضاً .
ولكن خُيلَ إلى "لوك" أن لهجة النفي في الإجابتين لم تكن حاسمة .
وسالها :

– هل عملت "إيمى" في بيوت كثيرة في القرية ؟
– لقد أمضت عاما تعمل وصيفة في بيت "آل هورتون" قبل أن تلتحق بخدمة اللورد "هويتفيلد" .

– يمكننا أن نلخص الموضوع فنقول : أولاً: أن شخصاً ما أراد أن يزيع "إيمى جيبس" من الطريق . ومن الوقائع التي لدينا نقطع بأن القاتل رجل ، فالمرأة لا تتسلق جداراً لكي تقتل

وثانياً : أن القاتل من الطراز القديم ؛ إذ استعمل طلاء القبعات وسيلة للقتل ...
وثالثاً : أن هذا القاتل لابد أن يكون قوي العضلات ، وإلا لما تسنى له أن يتسلق
الجدار .

وأجابت في اقتضاب :

– إنني أشاطرك رأيك .

وقال لها :

– إنني أحب أن أجرب بنفسي تسلق الجدار .

وأذنت له ، فخرج إلى الحديقة ، وتسلق الحائط ، وتسلل من النافذة إلى الغرفة
التي قتلت فيها " إيمي " .

وحين رجع إلى ربة الدار سألها :

– أكان نوم " إيمي جيبس " ثقيلاً ؟

فأجابت :

– إلى أقصى حد .

– والآن ننتقل يا آنسة " وينفليت " إلى البحث عن الدافع إلى القتل ، ولنبدأ

بأكثر الأمور وضوحاً .. هل تظنين أن ثمة علاقة ما بينها وبين " الزويرثي " ؟

فأجابت :

– لا أدري على وجه اليقين .

– هل تظنين مثلاً أن " إيمي " استغلت نقطة ضعف معينة عند " الزويرثي " ،

فأرادت أن تبتز منه مالاً .. ؟

ترى هل تركت قدراً كبيراً من المال عند موتها ؟

– لا أظن ، وإلا لانتهى إلي الخبر .

فقال " لوك " :

– هذا يضعف من نظرية الابتزاز . ومع ذلك فثمة نظرية أخرى : أليس من الجائز

أن الفتاة كانت تعرف شيئاً معيناً ... معلومات من شأنها إذا أذيعت أن تصبح خطراً على بعض الناس هنا في " آش " ... لقد اشتغلت " إيمي " في بيوت كثيرة، فلنفترض أنها وقعت على سر خطير في أثناء خدمتها في أحد تلك البيوت .

وردت الآنسة " وينفليت " :

– هذا جائز .

واستطرد " لوك " :

– أنت ذكرت لي أن " إيمي جيبس " كانت وصيفة عند " آل هورتون " عندما ماتت السيدة " هورتون " .

وقالت الآنسة " وينفليت " :

– ولكن ما الذي جعلك تثير موضوع خدمتها في بيت " آل هورتون " ؟

– لا أدري .. كل ما هنالك أنني كنت أفكر في احتمال معين .. لقد أصيبت السيدة " هورتون " بنزلة معوية قضت عليها . فهل كان موتها مفاجأة غير متوقعة .. ؟

– كان مفاجأة لي أنا على الأقل .. كانت قد بدأت تتحسن وتدنو من الشفاء، وفجأة أصيبت بنكسة شديدة وماتت .

– وهل أدهش موتها الدكتور " توماس " ؟

– لا أعلم ، لا بد أن يكون قد دهش .

فقال " لوك " :

– ولكن موتها أثار دهشتك أنت ؟

– نعم .. فقد كنت في زيارتها في اليوم السابق ، وبدا لي أنها تحسنت كثيراً .

وتساءل " لوك " :

– وما الذي كانت تظنه هي نفسها عن مرضها ؟

– كانت تشكو الممرضات ، وتردد أنهن يعملن على تسميمها ، وقد طردت

إحداهن لهذا السبب .

وأردفت الآنسة " وينفليت " :

— لقد كانت على أية حال امرأة متشككة ، كثيرة الوسوس ، ومع ذلك فقد عجز الأطباء عن تشخيص مرضها ، فلعل علتها جرثومة غامضة ، أو أن هناك من كان يعمل على تسميمها .

وسألها " لوك " في صوت حاول أن يجعله طبيعياً :

— ألم يخامرها الشك قط في أن زوجها هو الذي يحاول أن يتخلص منها ؟

— لا . . هذا الهاجس لم يخطر لها ببال .

ثم أردفت الآنسة " وينفليت " تسال " لوك " :

— ترى أهذا هو الذي يدور في ذهنك ؟

وأجاب :

— إنني أدرس جميع الاحتمالات ، كما أنني فهمت أن " هورتون " ورث عن

زوجته ثروة كبيرة . ولكن ما رأيك أنت يا آنسة " وينفليت " في هذا الاحتمال ؟

فتربت الآنسة " وينفليت " هنيهة ، ثم قالت :

كان النقيب " هورتون " متعلقاً بزوجته إلى أقصى حد وهذه الفكرة لا يمكن أن تكون قد دارت بخلده .

وسألها " لوك " :

— أكانت السيدة " بنكرتون " تشاطرك هذا الرأي . ؟

— لا أدري ، فإننا لم نتحدث في هذا الشأن قط .

وماذا كان رأيها — يا ترى — في " إيمي جيبس " ؟

وكان ردّها :

— إن لـ " لافينيا بنكرتون " في بعض الأحيان آراء عجيبة .

فسألها :

– ما الذي تعنين ؟

– كانت تعتقد أن أمورا شاذة تجري هنا في " آش " .

فقال " لوك " :

– ومن هذه أن أحدا دفع " تومي بيرس " من فوق حافة النافذة .

فحملت إليه الأنسة " وينفليت " في استغراب وقالت متعجبة :

– وكيف عرفت هذا يا سيد " فيتز ويليام " ؟ .. !

– السيدة " بنكرتون " هي التي أخبرتني برأيها هذا .

فمالت المرأة إلى ناحيته وتساءلت في انفعال :

– إذن فقد كنت تعرفها ؟ ولكن متى تقابلتما .. ؟

– في اليوم الذي دهمتها فيه السيارة في " لندن " .

– ما الذي ذكرته لك بالضبط ؟

– قالت إنه نزلت بقرية " آش " حوادث كثيرة أكثر من المألوف ، ثم قالت إنها

تتوقع أن يحل الدور على الدكتور " هامبلباي " .

وسالت الأنسة " وينفليت " :

– وهل كشفت لك عن هو المسؤول في رأيها ؟

وأجاب " لوك " في كلمات بطيئة رصينة :

– قالت إنه رجل ذو نظرة خاصة .. نظرة لا يمكن أن يخطئها المرء .. وقد رأت

هذا الرجل الغامض يصوب هذه النظرة الشريرة إلى الدكتور " هامبلباي " ولذلك

وقع في روعها أن الدور قد حل عليه لكي يموت .

فهمست الأنسة " وينفليت " في أسى وحسرة :

– ولقد كانت على حق فيما هجس به عقلها .

وسالها " لوك " وهو يحدجها بنظرة فاحصة :

– من هذا الرجل يا آنسة " وينفليت " ؟

فاجابت :

- إنني لا أعرف . إنها لم تخبرني بشيء من هذا .

فقال :

- ولكنك تستطيعين أن تخمني .. لابد أن لديك ولو فكرة مبهمه عن اسم الرجل الذي في ذهنها .

وأومأت الأنسة " وينفليت " برأسها إيجاباً ، فقال لها " لوك " :

- إذن أخبريني باسمه .

فهزت رأسها سلباً في إصرار وقالت :

- إنك تسألني أمراً شاذاً ... تسألني أن " أخمن " ، ثم تجعل من هذا الاسم محلاً للاشتباه ، مع أنه جاء نتيجة للتخمين . لا يا سيد " فيتز ويليام " .. محال أن أتكلم ، فقد يكون الرجل بريئاً . وحاول أن يثنيها عن إصرارها ، ولكنها تشبثت . وأخيراً لم يجد مفرّاً من العدول عن السؤال .

وقبل أن ينصرف سألها أن تكتب ما دار بينهما من حديث .

وعند الباب قالت له :

- أبلغ تحياتي إلى " بريدجيت " .

ثم أردفت :

- هل تعلم أنني كنت مخطوبة في يوم من الأيام للورد " هويتفيلد " .. ؟

فاجاب :

- لم يبلغني شيء من هذا .

- كان ذلك في صدر شبابه ... عندما كان " جوردون " لا يزال شاباً مكافحاً ،

ولكن أسرتي اعترضت على زواجنا ؛ لما كان بين الأسرتين من فارق في المكانة ،

فإنني أنحدر من أسرة عريقة . وسكنت هنيهة ثم استطردت :

- ولكن " جوردون " عرف كيف يكوّن نفسه ويشق طريقه . ولقد كنت دائماً

فخورة به معتزة بكفاحه .

وانصرف " لوك " وهو يفكر فيما سمع :

ترى من ذلك الرجل الغامض ذو النظرة القاتلة ؟

- 14 -

كانت السيدة " تشيرش " - عمة " إيمي جيبس " - امرأة لا يميل إليها الإنسان .
وقال لها " لوك " في لهجة حادة عنيفة :

- ليس عليك إلا أن تجيبي عن أسئلتي دون مواربة . وإلا عرضت نفسك لعواقب
وخيمة .

فقالت :

- إنني أكره أن أعرض نفسي للمسؤولية .

وقال " لوك " :

- أريد أن أعرف كل شيء عن ابنة أخيك . من أصدقائها ؟ .. ما مقدار ما
تركت من مال ؟ أريد أن أعرف كل ما من شأنه أن يفيدني في تحرياتي . والآن
فلتبدأ بأصدقائها .. من هم ؟

- كانت تخرج يا سيدي مع " جيم هارفي " وهو ميكانيكي يعمل في جراج
القرية .. وهو شاب مستقيم .

وسألها " لوك " :

- ومن غير " جيم هارفي " .. ؟

وللمرة الثانية تبدت في عينيها النظرة الماكرة الخبيثة وقالت :

- أعتقد أنك تفكر في صاحب محل التحف . ولطالما نصحتنا بأن تقطع صلتها

به ، ولكن فتيات هذا الجيل لا يستمعن إلى النصح ثم يندمن بعد ذلك .

- وهل ندمت " إيمي " فيما بعد .. ؟

- ليس الأمر كما تظن .. إنني أقسم على أن علاقتها بالسيد " الزويرثي " كانت بريئة .

- إذن لماذا عرضت نفسها على الدكتور " توماس " .. ؟
- لقد أصيبت بسعال شديد .. هذا كل ما هناك .
فعاد يسألها :

- إلى أي مدى وصلت العلاقة بينها وبين " الزويرثي " .. ؟
- لا أعلم يا سيدي ، ولكن هذا السيد كان سييء السمعة ، ويتردد عليه أصدقاء من " لندن " ، فيقيمون في حديقة السحرة حفلات صاخبة عند منتصف الليل .

- وهل كانت " إيمي " تذهب إلى هذه الحفلات .. ؟
- لقد حضرتها مرة واحدة فيما أعتقد ، وقد أمضت الليل بطوله في الحفل ، ولم تعد إلا في الصباح إلى قصر اللورد ، وغضب اللورد غضباً شديداً ، وأنبها على فعلتها ، فردت عليه في قحة ، ففصلها .
وعاد " لوك " يسألها :

- ترى هل تحدثت إليك " إيمي " عما جرى في هذا الحفل ؟
- إنها لم تحدثني إلا بقليل .
- لقد علمت أنها التحقت بخدمة " آل هورتون " ، فما السبب في تخليها عن الخدمة عندهم ؟

- التحقت بخدمة اللورد طمعاً في أجر أعلى .
- وهل عملت لدى السيد " أبوت " المحامي ؟
- كلا يا سيدي ، ولكنها زارته في أحد الأيام في مكتبه وإن كنت لا أعلم السبب .

ومضى " لوك " يسألها :

- وهل كان لها أصدقاء آخرون ؟

- لم يكن صديقاً بمعنى الكلمة .. ولكنها خرجت معه مرة أو مرتين . وأعني بذلك الرجل التافه " كارتو " صاحب حانة " النجوم السبعة " .
وقال " لوك " يسالها :

- والصبي " قومي بيرس " .. هل كان يقابل " إيمي " كثيراً ؟

- كلا يا سيدي .. وكانت " إيمي " تفرك أذنه عندما يحاول أن يغيظها .

- وهل لديك فكرة عن الدافع إلى القتل ؟ أتراها كانت راضية عن عملها عند الآنسة " وينفليت " ؟

- كان الاجر قليلاً ، فضلاً عن أن الآنسة " وينفليت " كانت شديدة الاهتمام بتلميع الفضيّات ، وكان هذا كفيلاً بأن يثير حنق " إيمي " .

ووجد " لوك " أنه أفرغ كل ما لديه من أسئلة ، فرمى السيدة " تشيرش " بنظرة فاحصة وقال :

- لعلك أدركت الهدف من وراء أسئلتني هذه ؟ هبي أنها تورطت ، وأنها قتلت ، ولم تمت في حادث وقع قضاء وقدرًا فمن تظنين أن يكون مسؤولاً عن مصرعها ؟

وسألته وهي تفرك يديها في جشع :

- أهنأك مكافأة مرصودة لمن يرشد عن القاتل ؟

فأجاب :

- ربما كان الأمر كما تقولين .

ولعلقت السيدة " تشيرش " شفيتها جشعا وقالت :

- ليس لدي رأي قاطع ، ولكنني أعتقد أن السيد صاحب حانوت التحف رجل شاذ الطباع ، وهو في رأيي لابد أن يكون القاتل .

وسالها " لوك " أكان السيد " الزويرثي " متغيباً عن القرية يوم سباق الـ " دربي " ؟

أي منذ أسبوعين ، يوم الأربعاء قبل الماضي ؟
- لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال ، ولكن من عادة السيد " الزويرثي " أن يغلق حانوته كل أربعاء .

أخذ " لوك " بعد انصرافه يدير في رأسه المعلومات التي ظفر بها الآن .
وبعد شيء من التدبر والتفكير وجد أن أصابع الاتهام تشير إلى أربعة أشخاص هم : الدكتور " توماس " ، والحامي " أبوت " ، النقيب " هورتون " ، و" الزويرثي " صاحب محل التحف - فأيهم هو الجاني ؟

وذكر الحديث الأخير الذي جرى بينه وبين الأنسة " وينفليت " .. لقد أبت أن تكاشفه باسم الشخص الذي تعتقد أنه اقترف هذه الجرائم . وامتناعها هذا دليل قاطع على أن القاتل شخصية لها شأنها ومكانتها في القرية .. لقد امتنعت لاعتقادها بأن رجال الشرطة والناس جميعاً سوف يسخرون منها إن هي وجهت هذا الاتهام إلى مثل هذا الشخص ذي المكانة المرموقة .

لقد بررت الأنسة " وينفليت " امتناعها بأن الأمر عندها لا يعدو أن يكون مجرد رأي شخصي ، وإن الإشارة إلى الاسم قد تسيء إلى مكانة صاحبه .
إذن فهو صاحب مكانة كبيرة .. وهذا الوصف لا ينطبق على " الزويرثي " ، لأنه شخص عادي ، مجرد بائع ليست له مكانة اجتماعية مرموقة ، فلا يبقى بعد ذلك إلا ثلاثة ...

حسناً .. لقد ضاقت دائرة البحث واقتصرت على ثلاثة أشخاص .
ورأى " لوك " أن يستبعد أيضاً النقيب " هورتون " ، فقد استنكرت الأنسة " وينفليت " أن يكون " هورتون " قد دس السم لزوجته .. وهذا الاستنكار ما كان ليصدر منها على هذه الصورة الحماسية لو أنه كان في رأيها مقترف الجرائم الأخرى . وهكذا لم يعد باقياً إلا اثنان : " توماس " و " أبوت " .
إن عناصر الاشتباه الأساسية تتوافر في الاثنين ، فلهما - كليهما - في البلد

مكانة مرموقة ، كما انهما محبوبان من أهل القرية ، والتعريض بهما دون دليل كفيلا بأن يثير نائرة القوم .

وعاد " لوك " يتدبر الموقف مرة أخرى ، ولكن من زاوية جديدة . إن السيدة "بنكرتون" كانت تعرف القاتل ، ولكنها لم تفض باسمه إلى صديقتها الآنسة "وينفليت" . إذن فالآنسة "وينفليت" تجهل اسم القاتل جهلاً تاماً ، وكل ما أدلت به إلى " لوك " من معلومات لم يكن يعدو مجرد الحدس والتخمين .

وقال " لوك " في نفسه متاملاً : " ولكنني أخذت رأيها المبني على الحدس والتخمين قضية مسلماً بها ، وبنيت عليه تحليلي لموقف المشتبه فيهم وبناء على هذا الرأي التخميني استبعدت " الزويرثي " و " هورتون " .

وهز " لوك " رأسه وعاد يقول في نفسه : " كيف بلغت بي الغلطة أن أستند إلى التخمين في استبعاد هذين الاسمين من نطاق الاشتباه " . وهكذا ارتد " لوك " إلى ما كان عليه من قبل ، وعاد يشتبه مرة أخرى في الأربعة : " توماس " و " أبوت " و " هورتون " و " الزويرثي " . ثم شرع يدرس موقف كل واحد منهم .

"إن " الزويرثي " هو أقرب الأربعة المشتبه فيهم إلى أن يكون هو القاتل ، فهو شاذ الطباع ، ويكاد يكون مخبولاً ، ويمكن أن تكون به شهوة إلى إراقة الدم .

فلنفترض إذن أن " الزويرثي " هو القاتل ، ولنحاول أن نتبين موقفه من الضحايا ، ومدى صلته بهم ، والدافع الذي يحمله على قتلهم " .

بهذا أخذ " لوك فيتز ويليام " يحدث نفسه .

لدينا أولاً السيدة " هورتون " .. إن من الصعب هنا أن نلتمس دافعاً يحمل " الزويرثي " على قتلها . ولكن وسيلة القتل كانت هينة متاحة ، فقد أشار النقيب " هورتون " في حديثه إلى أن زوجته في أثناء مرضها كانت تتناول دواء من خليط الأعشاب أعده " الزويرثي " . فلا أهن عنده من أن يمزج بدوائه شيئاً من السموم ، كـ " الزرنينخ " مثلاً . ولكن لماذا يفعل هذا .. ؟ ما الدافع ؟ ولننتقل

بعد ذلك إلى باقي الضحايا .

– لماذا يقتل " الزويرثي " الفتاة " إيمي جيبس " ؟ السبب الواضح أنها كانت مصدر متاعب .. لعلها هددته بأن تقاضيه بتهمة نكث الوعد بالزواج . ثم إنها اشتركت في إحدى حفلاته الصاخبة التي تقام من حين لآخر في حديقة السحرة ، فلعلها هددته بأن تفشي ما يجري في هذه الحفلات من فوضى واستهتار .. ومن المعروف عن اللورد " هويتفيلد " أنه رجل مستقيم ، فلو أنه عرف أن هذه الحفلات مسرح للعبث لعمل بما له من نفوذ على طرد " الزويرثي " من البلدة . ومن الضحية التالية .. ؟ " كارتر " بالتأكيد .. غير محتمل أن يكون على علم بما يدور في حفلات " الزويرثي " – هذا إلا إذا كانت " إيمي جيبس " قد حدثه عنها .. وثمة سؤال آخر .. هو هل حاول " الزويرثي " أن يغازلها ؟ لو أن هذا حدث . هل كانت ابنته الحسنة مندمجة في هذه الاحتفالات ؟

إذن لنقم " كارتر " على " الزويرثي " مسلكه ، ولحاول " الزويرثي " بدوره أن يتخلص من غضب " كارتر " فيزيحه من الطريق .

والآن يأتي دور " تومي بيرس " .. ما الذي يدفع " الزويرثي " إلى قتل " تومي " .. ؟ إن الرد لمن أهون الأمور .. لقد اشترك " تومي " في حفلاته الصاخبة ، وعرف مافيه من عبث وشذوذ ، فلعله هدهد بإفشاء أسرارهِ ، فما كان من " الزويرثي " إلا أن أسكت " تومي " إلى الأبد .

ولكن لماذا يقتل " الزويرثي " الدكتور " هامبليبي " .. ؟

كان " هامبليبي " طبيباً ، وبحكم مهنته كان أقدر الناس على أن يعرف أن هذا الرجل مجنون ، وأنه ذو عقلية مختلة قد تدفعه إلى ارتكاب بعض الجرائم .. وخشي " الزويرثي " أن يعمد الطبيب إلى فضح أمره ، فاستقر رأيه على أن يقتله .. ولكن كيف تسنى له أن يقتله بتسمم في الدم .. ؟ إن " هامبليبي " مات قضاء وقدرًا بأن تسمم دمه نتيجة خدش أهمل تعقيمه ولا شأن لـ " الزويرثي "

بوفاته .

والآن نأتي إلى السيدة "بنكرتون" .. إن من عادة "الزويرثي" أن يغلق متجره كل أربعاء ، فهل ذهب إلى "لندن" يا ترى يوم سباق الـ "دربي" - وكان يوم الاربعاء - ، أم بقي في القرية .. ؟ لعله عرف أن السيدة "بنكرتون" اشتبهت في أمره ، ولعلها ذكرت لشخص ما أنها ستبلغ رجال "اسكتلانديارد" عن هذه الجرائم الغامضة ، أو لعله توقع من تلقاء نفسه أنها إنما سافرت إلى "لندن" لهذا الغرض ، فبادر إلى اقتفاء خطواتها ، ثم دهمها بسيارته فقتلها وفر هارباً .

وقال "لوك" يخاطب نفسه : هذه هي القرائن التي تؤيد الاشتباه في "الزويرثي" ، فما عسى أن تكون القرائن المضادة التي تنفي عنه التهمة ؟ إنه قطعاً ليس الرجل الذي كانت الآنسة "وينفليت" تعتقد أنه القاتل ، فقد وصفت القاتل بأنه رجل مرموق المكانة و "الزويرثي" ليس بهذا الرجل .. كما أنني فهمت من حديث الآنسة "وينفليت" أن القاتل رجل متزن ذو عقلية مستقرة ، و "الزويرثي" رجل مختل غير متزن

تلك هي القرائن التي في صالح "الزويرثي" ، فلنر الآن ما يكون من شأن الدكتور "توماس" .

ما الذي يدفع "توماس" إلى اقتراح كل هذه الجرائم ؟

لماذا يقتل "توماس" الفتاة "إيمى جيبس" .. ؟ لقد زارته في عيادته بعد ظهر اليوم الذي ماتت فيه ، وهو الذي أعطاها زجاجة الدواء ، فلنفترض أنه خلط بالدواء المادة السامة التي قضت عليها .

إنه من الطبيعى أن يستدعى الدكتور "توماس" للكشف على "إيمى جيبس" لاكتشاف سبب موتها . ومن السهل عليه جداً وهو يفحصها أن يضع زجاجة شراب للسعال خالية من السم بدلا من الزجاجة المسمومة ، وإن يضعها على الرف ، وأن يضع زجاجة طلاء القبعات بجانب الفراش .

نعم .. إن من السهل جداً أن يفعل هذا دون أن تفتن الأنسة " وينفليت " إلى ما فعل .

ولكن ما الدافع إلى القتل .. ؟

وننتقل الآن إلى " تومي بيرس " ، ولا يبدو في رأيي أن هناك دافعاً يحمله على قتل " تومي " . وكذلك الشأن بالنسبة إلى " كارتر " .. ما الذي يدعو الدكتور " توماس " إلى القضاء على " كارتر " صاحب حانة "النجوم السبعة" ؟ إن من المحتمل أن نزعم ولو تعسفاً أن " إيمي " و " تومي " و " كارتر " عرفوا عن الطبيب شيئاً يحسه ويشينه .. ولنفترض أن لهذا الشيء الذي عرفوه علاقة بوفاة السيدة "هورتون" .

لقد كان الدكتور " توماس " هو الذي يتولى علاجها، وكانت تتحسن يوماً بعد يوم ، ثم إذا بها تصاب بنكسة شديدة تقضي عليها .

– ولقد كانت " إيمي جيبس " تعمل وصيفة في بيت " آل هورتون " عندما ماتت السيدة " هورتون " . فلعل " إيمي " عرفت إذ ذاك شيئاً يدنس سمعة الدكتور "توماس" ، وفي هذه النظرية تعليل كاف لإقدام الطبيب على قتلها . أما " تومي بيرس " فمن المعروف عنه أنه فضولي متطفل فلعله بدوره عرف شيئاً يشين الدكتور " توماس " . أما " كارتر " فأمره شاق ، وليس لدي تعليل لإقدام الدكتور " توماس " على التخلص منه . غير أن من المحتمل أن " إيمي جيبس " أطلعته في لقائها به – فقد خرجت معه مرتين – على ما اكتشفته بشأن الدكتور حين كانت تعمل في بيت " آل هورتون " . ولعل " كارتر " ردد هذا السر وهو سكران لا يعي ولعل الأمر بلغ "توماس" ، فاستقر على أن يغلق فمه .

والآن نبحث عن الدافع الذي يدعو الدكتور " توماس " إلى قتل الدكتور "هامبليبي" .

الدافع هنا واضح لا لبس فيه ... المنافسة .. فالمرضى يقبلون على الدكتور

"همبلباي" ، فلابد إذن من قتل "هامبلباي" ؛ حتى لا يكون في القرية إلا طبيب واحد ، وهو "توماس" وبذلك يتضاعف دخله ، فالدافع إلى قتل الدكتور "هامبلباي" متوافر بالنسبة إلى الدكتور "توماس" ، كما أن وسيلة القتل هينة عليه ، فهو أقدر الناس على أن يدس لـ "هامبلباي" جرثومة تسممه .

والآن ننتقل إلى علاقة الدكتور "توماس" بمصرع السيدة "بنكروتون" إنه لم يكن في قرية "آش" أغلب النهار الذي لقيت فيه حتفها . ولقد قيل له إن "توماس" كان يشرف على حالة وضع في قرية مجاورة . ولكن الدكتور "توماس" نفسه هو الذي قال للناس إنه كان في القرية المجاورة يرعى امرأة تضع مولوداً .. فما يدرينا أنه كاذب في هذا الادعاء .. وحتى إذا كان صادقاً ، فما يدرينا أنه طار مسرعاً إلى "لندن" بسيارته ، فدهم بها السيدة "بنكروتون" وهي تعبر الطريق إلى "اسكتلنديارد" ، ثم ارتد راجعاً إلى القرية ينهب الطريق ، والأمر لن يستغرق منه إلا ساعة واحدة أو أكثر قليلاً ، ولذلك لن يشعر أحد بتغيبه عن مباشرة حالة الوضع .

واستطرد "لوك" في تحليل موقف أولئك الذين كانوا في رأيه محللاً للاشتباه إن "أبوت" يمكن أن يكون هو القاتل فهو أولاً شخصية مرموقة محترمة ، ثم إنه متزن صاحب مكر ودهاء ، وهما صفتان لا بد منهما لأي قاتل غامض .. ثم إن "إيممي جيبس" زارته في مكتبه ، فما الذي دعاها إلى زيارته .. ؟ أذهبت إليه تنشد منه مشورة قانونية .. ؟ وما فحوى هذه الاستشارة .. ؟ أم لعلها ذهبت إليه لأمر شخصي بحث ؟

لقد قيل إن هناك خطاباً شخصياً كتبته إحدى السيدات إلى السيد "أبوت" ، وقيل إن "تومي بيرس" عبث بأوراق المحامي واطلع على هذا الخطاب السري . فهل كان الخطاب صادراً من "إيممي جيبس" ؟ أم هل كان صادراً من السيدة "هورتون" يا ترى .. ؟ وهل استطاعت "إيممي جيبس" بطريقة ما أن تستولي

على هذا الخطاب ؟ أم هل استطاعت على الأقل أن تعرف فحواه من "تومي بيروس" ، فذهبت إلى المحامي تهدده وتوعده لكي تبتز منه مالا حتى لا تفشي سر الخطاب ؟

ولعل مقتل "تومي بيروس" نفسه راجع إلى أنه أفضى إلى "إيمي" عما عرفه عن هذا الخطاب .

أما مقتل "كارتر" صاحب حانة "النجوم السبعة" فربما كان راجعاً إلى قيام علاقة بين "أبوت" وبين ابنة "كارتر" ، فقد قيل إن "كارتر" اقتحم بيت المحامي ، وأخذ يسب ويلعن فلم يكن هناك مفر أمام المحامي "أبوت" من قتل "كارتر" ؛ درءاً للفضيحة الصاخبة ، وكان حسبه أن يتعقب "كارتر" عند منتصف الليل وهو راجع إلى داره ثملاً ، فيدفعه إلى النهر وهو يعبر الجسر . أما إقدام "أبوت" على قتل الدكتور "هامبلباي" فمرجعه معارضة الطبيب له بشأن مشروع المياه ، واستخدامه في المناقشة ألفاظاً نابية مقذعة ، ولعله رماه بالغباء أو بالرشوة ، فوجد "أبوت" في هذا الاتهام طعنًا لا يغتفر وعماه حقه فقتل الطبيب المسكين .

وقد فطنت السيدة "بنكروتون" إلى جرائمه المتتالية ، فقد استشفت في عينيه تلك النظرة القاتلة . ثم رأتها يسدها إلى الدكتور "هامبلباي" فتوقعت له الموت ، وقررت إبلاغ الشرطة ، ولعلها تحدثت في شأنه إلى بعض الناس ، فما كان منه إلا أن لحق بها في "لندن" ودهمها بسيارته . ولكن هل يملك "أبوت" سيارة ؟ سؤال لم يحيره ، فعليه أن يستأجر سيارة يقترب بها جريمته . ومهما يكن فقد كان "أبوت" غائباً عن القرية يوم سباق الـ "دربي" .

ومضى "لوك" يفكر في النقيب "هورتون" .. فلنفترض أنه قتل زوجته ، فبموتها تؤول إليه ثروة كبيرة ، فالدافع متوافر . ولكي يضلل الناس عن الاشتباه فيه يتظاهر "هورتون" بالتفاني في حب زوجته . ولكنه أسرف في التظاهر بإخلاصه ، وهذا الإسراف يمكن أن يكون مثيراً للشك .

وهكذا أقدم "هورتون" على قتل زوجته ، مطمئناً إلى أن أحداً لن يشتبه فيه . ولكن "إيمي جيبس" كانت تعمل في خدمة "آل هورتون" عند وفاة ربة الدار ، ولعلها رأت أو لاحظت شيئاً يدين "هورتون" فقرر أن يتخلص منها . ولعلها أيضاً حاولت أن تبتز منه مالاً ثمناً لسكوتها .

أما عن مصرع "كارتر" فتعليله أن "إيمي" تحدثت إليه بما يدور في خلدتها من شبهات . "تومي بيرس" قُتل؛ لأنه فضولي يحشر أنفه في كل شيء ولعل الخطاب الذي اطلع عليه وهو يعيث بأوراق السيد "أبوت" الخامي كان شكوى من السيدة "هورتون" تبدي فيها ريبتها في زوجها ، وأنه يحاول أن يقتلها . فكان أن قرر "هورتون" قتله ليدفن سره معه .

ولكن ما علاقته بالدكتور "هامبلبي" .. ؟ كان "هامبلبي" هو الذي يعالج الزوجة ، ولعله شك في سبب علتها وخامرته الريبة في الزوج ، فأقنع "هورتون" زوجته أن تبدل بـ "هامبلبي" طبيباً آخر هو الدكتور "توماس" ثم قتل "هامبلبي" كتماناً لسره .

و "هورتون" لديه سيارة . وكان غائباً عن القرية يوم سباق الـ "دربي" ، فلعله هو الذي دهم بسيارته السيدة "بنكرتون" في "لندن" وقتلها .

مضى "لوك" يدير في رأسه هذه الفروض والاحتمالات ويزن مدى سلامة تحليلاته ليقصي من دائرة الاتهام بعض المشتبه فيهم فاستبعد "الزويرثي" ؛ لأن القرائن القائمة ضده ليست قوية قاطعة ، واستبعد "هورتون" أيضاً ؛ لأن الأنسة "وينفليت" - وهي التي تعرف القاتل - نفت أن يكون "هورتون" قد دس السم لزوجته .

إذن فلا يبقى بعد ذلك إلا "أبوت" و "توماس" أحدهما هو القاتل دون ريب ،

ولكن أين الدليل .. ؟

نعم .. أين الدليل . ؟

- 15 -

جلس " لوك فيتز ويليام " في حانة "النجوم السبعة" يحتسي زجاجة الشراب .
ورأى " لوسي كارتير " ابنة صاحب الحانة الذي غرق في النهر ، وكانت الفتاة
على جانب كبير من الجمال ، منطلقة مريحة ، تحيي عملاء الحانة بمرح وسعادة ،
ولكنها لم تكن تبدو من الطراز سهل الانقياد .

وحين انصرف " لوك " كان لابد أن يجتاز القنطرة التي وقع " كارتير " في النهر
وهو يعبرها ، فوقف عندها برهة يتأملها ومربه أحد رواد الحانة فأقبل عليه يقول :
- نعم .. هنا سقط " هاري كارتير " يا سيدي ... لقد عثروا على جثته وقد
غاصت في الطين .

- ولكن من الغريب أن يسقط هنا .

- كان سكران ثملاً .

- ولكنه اعتاد أن يعبرها كل ليلة على هذا الحال .

- لعله أفرط في تلك الليلة في الشراب .

فقال " لوك " :

- أو لعل أحداً دفعه إلى النهر .

- هذا جائز ، ولكن من هذا الذي يفكر في قتله ؟

- ما يدريك فقد يكون له بعض أعداء ، فقد بلغني أنه كان سليلط اللسان وقحاً .

فقال الرجل :

- إنه إن شرب لا يقدر أن يسيطر على كلماته فتنتال من فمه أقبح الشتائم .

ولم يشأ " لوك " أن يجادل الرجل في رأيه ، فقال :

- لقد كانت على أية حال مأساة محزنة .

فضحك الرجل وقال :

- بل كانت مأساة مفرحة لزوجته وابنته . فقد كان يعاملهما بقسوة ووحشية .

وتابع " لوك " طريقه متجهاً إلى المبنى الذي يضم المتحف .

كان المتحف تافه المحتويات ، لا يضم إلا القليل من الاواني الخزفية وبعض العملات وقليلاً من التماثيل . وفرغ " لوك " من مشاهدة المعروضات ، ثم صعد إلى الطابق الثاني فالتقى نفسه في غرفة كبيرة كدست فيها الصحف والمجلات فذهب يقلب فيها ، ثم تحول إلى الرفوف يتصفح العناوين .

وصعد " لوك " إلى الطابق الأخير العلوي ، وكان مكوناً من عدة غرف أودعت فيها الصحف القديمة . وحتى هذه اللحظة لم يكن " لوك " قد التقى بأحد على الإطلاق واقترب " لوك " من نافذة الغرفة ووقف يتأملها .

لابد أن " تومي بيرس " سقط إلى الحديقة وهو واقف على حافة هذه النافذة منهمكاً في تنظيفها ، وأغلب ظني أنه سمع وقع خطوات شخص يدخل الغرفة ، واقترب منه القادم ومضى يتحدث إليه ، وفجأة دفعه إلى الخارج ، فسقط جثة هامدة .

وهبط " لوك " الدرج ، ووقف في الردهة السفلى دقيقة أو دقيقتين ، ومع ذلك لم يلتق بأحد .

وقال " لوك " في نفسه : "إذن فقد كان في وسع أي إنسان أن يفعل مثلما فعلت" ... كان في وسعه أن يأتي من الخارج إلى الطابق العلوي فيقتل " تومي بيرس " ، ثم يتسلل منصرفاً . وجاءت الآنسة " وينفليت " بعد لحظات من غرفة الخزن، وفي يديها مجموعة من الكتب ، وقالت :

– هل شاهدت المتحف يا سيد " فيتز ويليام " .. ؟ إن معروضاته ليست بذات قيمة، ولكن اللورد " هويتفيلد " وعد بأن يزوده بأشياء أخرى رائعة .
فقال " لوك " مجاملاً :

– حقاً .. ؟ هذا فضل منه ..

– إنه ينوي أن يجلب إلى المتحف أشياء عصرية كالتي نشاهدها في المتحف

العلمي في "لندن".

ثم أردفت :

– الواقع أن اللورد " هويتفيلد " شديد الاهتمام بالقيام بحملة واسعة في سبيل المصلحة العامة .

وقال " لوك " بعد سكتة قصيرة :

– لقد صعدت إلى الطابق العلوي وشاهدت النافذة التي كان " تومي " ينظفها عندما وقع .

فقالت الآنسة " وينفليت " :

– كانت مأساة رهيبة دون شك .

واستطرد " لوك " :

– لقد قابلت أمه .. إنها امرأة خبيثة لا يرتاح إليها المرء .

فقالت :

– إنها لكذلك حقًا .

– لقد عاملتها بخشونة وصرامة ، وأغلب الظن أنها حسبتني من كبار رجال الشرطة .

وأمسك عن الكلام حين رأى ما طرا على سحنة الآنسة " وينفليت " من تغير.

وسألها :

– ما الذي جرى .. ؟

– ما كان ينبغي أن تكشف عن شخصيتك كشرطي ؛ لأن الأخبار تتناقل في هذه

القرية بسرعة البرق . وأخشى أن يبلغ القاتل أنك تتحرى عن جرائمه ، وعندئذ ..

وسكتت ، فقال " لوك " وهو يتأملها :

– أتعين أنه عندئذ سيحاول أن يتخلص مني ؟

– بالتأكيد سيحاول أن يقتلك .

- هذه الفكرة لم تدر بخلدي يا آنسة " وينفليت " .
- وهز " لوك " كتفيه في غير اكتراث ، ثم قال :
- لو أنه فعل لكان هذا خيراً ، وبذلك يوفر عليّ مشقة التحري والبحث .
- فقالت الآنسة " وينفليت " في نبرة من الانفعال تحذره :
- سيد " فيتز ويليام " .. أرجو ألا تستهين بهذا القاتل . . إنه داهية ذكي يعرف كيف يحكم خطه .. إنني شديدة القلق عليك .
- فليطمئن بالك يا آنسة " وينفليت " ، فإنني أعرف كيف أحمي نفسي ، وسوف أكون على حذر .
- ثم استطرد :
- لقد ضيقت نطاق البحث وانحصرت شبهاتي في شخصين اثنين ، وأنت تعرفين القاتل تخميناً مما جرى من حديث بينك وبين السيدة " بنكرتون " فإذا أنا سألتك عمن تعتقدين أنه القاتل من بين هذين الاثنين ، فكيف يكون جوابك .. ؟
- فحدجته الآنسة " وينفليت " بنظرة ثابتة وسألته :
- ومن هما هذان الاثنان .. ؟
- فأجاب :
- من القاتل من بين هذين : الدكتور " توماس " أم المحامي " أبوت " .. ؟
- وهتفت الآنسة " وينفليت " :
- أوه !
- وخبطت صدرها بيدها متأوهة ، وتلاقت عيناها بعيني " لوك " بنظرة أثارت حيرته .
- وقالت :
- لن أرد على هذا السؤال .
- ثم استدارت فجأة وقد صدر عنها صوت غريب ، هو خليط من التنهد ونشيج

البكاء .

وسألها " لوك " :

– أراجعة أنت إلى بيتك .. ؟

فأجابت :

– لا ... كنت أنوي أن أذهب بهذه الكتب إلى الأنسة " هامبلساي " ،

فيمكنك أن تصحيني جزءاً من الطريق في عودتك إلى القصر .

– هذا تطف منك .. شكراً لك . وانصرفا معاً صامتين . وألقى " لوك " نظرة

وراءه على المبنى الذي غادره منذ لحظات وقال :

– كان هذا المبنى ملكاً لأسرتك .

فقالت :

– بالتأكيد ... وكنا جميعاً سعداء بالإقامة فيه ، وإنني لأحمد الله على أنه لم

يهدم شأن غيره من البيوت القديمة ، والفضل في بقائه يرجع إلى اللورد

" هويتفيلد " الذي اشتراه ليحيله إلى مكتبة ومتحف .

وسلكا في طريقهما إلى القصر طريقاً جانبياً مختصراً يفضي إلى بوابة خلفية

للحديقة .

وحين اقتربا من البوابة الخلفية تناهت إليهما أصوات صاحبة غاضبة . وبعد

لحظات رايا اللورد " هويتفيلد " يؤنب في شدة سائق سيارته .

وسمعا اللورد يصيح في غضب :

– إنك مفصول .. نعم .. أنت مفصول .

وسمعا السائق يرد متوسلاً :

– أرجو أن تصفح عني يا سيدي اللورد .

– لا .. مستحيل أن أصفح عنك ... تأخذ سيارتي وتخرج بها .. ثم تقودها

وانت سكران . إنك بالتأكيد لا تستطيع أن تنكر ...

ولم يكن السائق سكران ، ولكنه كان قد احتسى من الشراب ما يكفي لإفلات زمامه وإطلاق لسانه . فجأة تغير مسلكه ، ولم يعد يرجو ويتوسل ، وإنما انطلق يقول :

- ما هذا الذي تقوله أيها الوغد الكهل .. إننا لا نجهل أصلك يا سيدي اللورد العظيم .. إننا جميعاً نعرف أن أباك كان بائع أحذية هنا في هذه القرية الحقيبة ... إننا لنضحك ملء أفواهنا ونحن نراك تسير مختلاً كالطاووس .. بحق السماء من أنت .. ؟ أتخسب نفسك ماذا ؟ ١٩ ..

وتضرج وجه اللورد احمرارا ، وصرخ في سائقه :

- كيف تجسر على أن تحدثني بهذه اللهجة .. ؟

وتقدم السائق خطوة من اللورد ، وقال :

- لو أنك لم تكن كهلاً متهاكاً لسددت إلى فكك لكمة طرحتك أرضاً .

وارتد اللورد خطوة إلى الوراء وقد تملكه الخوف وصرخ في سائقه :

- اخرج من هنا .. اخرج حالاً .

واستعاد السائق رشده فقال في ضراعة :

- إنني آسف يا سيدي .. لست أدري ما دهاني . فتدخل " لوك " في الحديث

قائلاً :

- لاشك في أنه أفرط في الشراب . وعاد السائق يتوسل ويلج في الرجاء .

- سوف تندم على هذا يا " ريفرز " .

واستطرد اللورد وقد انصرف السائق :

- يا لها من وقاحة ! كيف يتحدث إليّ بهذه اللهجة ، لا شك في أن شيئاً خطيراً

سوف يحدث لهذا الرجل .. أنقذه أجراً طيباً ثم يعاملني بهذا الأسلوب .

وكانت الآنسة " وينفليت " واقفة منزوية ، ولفرط انفعال اللورد لم ينتبه إلى

وجودها ، فلما رآها قال :

— آه ! أنت هنا يا " هونوريا " .. يؤسفني أنك رأيت هذا المشهد المشين .

فقالت الآنسة " وينفليت " في اقتضاب :

— إنه لم يكن في وعيه يا لورد " هويتفيلد " .

— أتدريين ما الذي فعل ؟ لقد صحبتني " بريدجيت " في سيارتها إلى " لاين " ،
وحسب الاحتمق أنني لن أرجع في الحال ولكنني رجعت ، ووجدت أنه خرج في
سيارتي . وليس هذا فقط ، وإنما صحب فيها هذه الفتاة الخليعة " لوسي " ابنة "
كارتر " صاحب الحانة .

فعقبت الآنسة " وينفليت " :

— عمل شائن .

— بالتأكيد عمل شائن يدل على الضعة والخسة .

واستطردت الآنسة " وينفليت " :

— ولكنني متأكدة من أنه سيندم على ما فعل .

— سوف أجعله يندم .. لن أغفر له فعلته أبداً .

فقالت الآنسة " وينفليت " :

— حسبه جزاء أنك طردته من خدمتك .

وهز اللورد " هويتفيلد " رأسه سلباً وقال :

— هذا لا يكفي .. إن هذا الرجل سوف ينتهي نهاية سيئة .. إنني واثق بهذا .

وقال اللورد يخاطب " لوك " بعد انصراف الآنسة " وينفليت " :

— إنها امرأة في غاية الذكاء .

— إنها لكذلك حقاً .

وفجأة أغرق اللورد " هويتفيلد " في الضحك وقال :

— أتعلم أنني كنت خطيباً لـ " هونوريا " على عهد الشباب .. ولكن أباه لم

يرض عن زواجنا ، فهي تنحدر من أسرة عريقة ، بينما كنت أنا في ذلك الحين شاباً

مكافحاً ينتمي إلى أسرة متواضعة .
فتساءل "لوك" :

- ولهذا فسخت أسرتها الخطبة .

- لا .. لا .. ليس تماماً .. الواقع أنه نشب بيني وبينها خلاف أدى إلى القطيعة .. والسبب هو ذلك العصفور اللعين .. عصفور الكناريا .. إنني أكره الآن جميع عصافير الكناريا .. لقد قصفت " هونوريا " رقبتها ، فلما لمتها على قسوتها، غضبت وتباعدنا منذ تلك اللحظة .

وبعد لحظة همس اللورد " هويتفيلد " في صوت خافت كأنما يخاطب نفسه :
أغلب الظن أنها لم تغفر لي قطيعتي لها .
فرد " لوك " قائلاً :

- بل إنها غفرت وصفححت .. إنها سيدة كريمة القلب متسامحة .
فقال اللورد :

- صدقت .. إنها امرأة عظيمة .
واردف يقول :

- آه ! ها هي ذي " بريدجيت " قادمة .
والتفت " لوك " إلى حيث اتجه بصر اللورد فرأى " بريدجيت " تبرز من إحدى خمائل الأزهار مقبلة عليهما .

- 16 -

توترت أعصاب " لوك فيتز ويليام " وهو يرى " بريدجيت " مقبلة عليهما؛ إذ كانا لم يتقابلا منذ ذلك اليوم الذي حدثها فيه عن حبه ، فصدمته ونبذته .
قالت تخاطب اللورد :

- أين كنت يا " جوردون " ؟

فاجاب :

– كنت في مشادة مع هذا اللعين " ريفروز " ... تصوري أنه اغتتم فرصة غيابي عن القصر فبلغ من وقاحته أن خرج في سيارتي "الرولز" يتنزه بها .

وقالت :

– وهذه بالتأكيد إهانة للذات الملكية .. !

– إن الامريا " بريدجيت " أخطر من أن تجعليه موضعاً للدعابة .. لقد اصطحب فتاة في السيارة .

– لو أنه كان وحده لكان دون شك أقل إهانة . فنفخ اللورد " هويتفيلد " صدره

وقال في صرامة :

– إنني لا أسمح أبداً بأن ترتكب في ضيعتي أمور منافية للخلق القويم .

فقلت " بريدجيت " :

– لا تنس أن القمر الليلة قد اكتمل بدرأ ، وهي ليلة يحلو فيها للعشاق الغزل

والمناجاة .

ثم أردفت تقول :

– إنها الليلة التي اعتاد السحرة أن يعقدوا فيها مؤتمرهم السنوي . ويبدو أن

" الزويرثي " سيقوم الليلة حفلاً في حديقة السحرة ، فقد نزل اليوم بفندق

"الأجراس " ثلاثة من أصدقائه : رجلان وامرأة .. يرتدون ثياباً غريبة مضحكة .

فصرخ اللورد " هويتفيلد " :

– إنني لا يمكن أن أسمح بإقامة مثل هذه الحفلات الصاخبة الفوضوية .

فردت عليه " بريدجيت " في سخرية :

– هل نسيت يا عزيزي " جوردون " أن حديقة السحرة ملك للشعب ولا سلطان

لك عليها .

– سأطلب إلى محرر صحيفتي أن يهاجم هذه الحفلات .

فضحكت " بريدجيت " وقالت في نبرة لاذعة من التهمك :

- اسمعوا أيها الناس ... اللورد " هويتفيلد " العظيم يبدأ حملته ضد الخزعبلات والخرافات البالية .

وتطلع إليها اللورد " هويتفيلد " وقد قطب جبينه ، ثم استدار متجهاً إلى القصر .

قال " لوك فيتز ويليام " يخاطب " بريدجيت " :

- يجب أن تغيري من سلوكك يا " بريدجيت " . إنك تتهكمين على " هويتفيلد " وتسخرين منه ، فهل نسيت أن الزواج لم يعقد بعد ، وأن المائة ألف لم تدخل بعد في حوزتك ، لا هي ، ولا الجواهر .. يحسن بك أن تلجمي لسانك حتى عقد قرانكما .

وتطلعت إليه " بريدجيت " في برود وقالت :

- شكراً لك يا عزيزي على اهتمامك بأمر مستقبلي .

ثم أردفت :

- هل انتهيت إلى نتيجة حاسمة في أبحاثك ؟

- بين بين .. كما يقول رجال السياسة .. وبهذه المناسبة أرجو أن تريني أدوات النجارة التي لديكم؛ فإنني في حاجة إلى شيء منها .

ومضت به إلى الدولاب الذي يضم أدوات النجارة ، فاختار بعضها ودسه في جيبه .

وسالته " بريدجيت " :

- أترك تنوي أن تتسلق في جوف الليل إلى أحد البيوت .. ؟

- هو ذاك ... هذا ما أنتويه فعلاً .

فعقبت هازئة :

- إذن فلنك مظهر السيد المحترم ، أما خبيثتك فشيء آخر .

فقال :

- إنني في أعقاب قاتل مجنون ، فلا يضيرني أن أتسلل إلى البيوت في جوف الليل .

فرغ الأربعة من تناول العشاء ، ومضت " بريدجيت " وعمتها السيدة " انستروذو " إلى قاعة الاستقبال ، على حين بقي " لوك " في قاعة المائدة ينصت إلى اللورد " هويتفيلد " وهو يفيض في الحديث عن نفسه .

و حين صعد " لوك " إلى مخدعه استوى على مقعده الوثير يدخن ويفكر حتى إذا انتصف الليل وأيقن أن الجميع لاذوا بأسرتهم وغرقوا في النوم انتعل حذاء التنس ذا النعل المطاط الذي لا وقع له وتسلسل من غرفته يسير حذراً وغادر القصر خفية .
اتجه " لوك " مسرعاً إلى بيت " الزويرثي " ، ووقف على كذب منه يتأمله وهو يرهف السمع .

كان الظلام ضارباً أطنابه على الدار ، فالببت لابد أن يكون خالياً ما دامت الليلة هي موعد الحفل الماجن الذي يقام في حديقة السحرة .

وحشر " لوك " تحت نافذة في الطابق الأرضي إحدى أدوات النجارة التي زودته بها " بريدجيت " ، وضغط عليها بقوة ، فتحركت النافذة وانفتحت . وتسلسل " لوك " إلى الداخل ، وعلى ضوء البطارية استطاع أن يجوس خلال البيت ، وأن يفتشه تفتيشاً دقيقاً .

كان أول شيء أثار انتباهه ودعم شكوكه ، كلمات مدونة في مفكرة " الزويرثي " هذا نصها :

" تسوية موضوع " تومي بيرس " . "

وفي صفحة أخرى من نفس المفكرة رسم كروكي لـ " إيمي جيبس " وعلى الوجه صليب كبير بالمداد الأحمر .

أما الشيء الثالث الذي عثر عليه " لوك " فكان زجاجة بها شراب للسعال أحمر

اللون .

وقال " لوك " في نفسه : " هذه دون شك قرائن مثيرة " .

وفجأة سمع " لوك " صرير مفتاح يدور في ثقب الباب الخارجي للبيت ، وأسرع يختبئ تحت درج السلم .

وانفتح الباب الخارجي واستطاع " لوك " أن يرى " الزويرثي " وهو يجتاز الردهة ، وكان المشهد الذي أخذته عيناه بشعاً يثير الرعب وتنحس له الأنفاس .

كان منقلب السحنة والزبد يغطي فمه وشفتيه ، ومن عينيه تنبعث نظرة شاردة كأنما يتطلع إلى شيء سحيق ، وحين كان يعبر الردهة لم يكن يمشي ، وإنما كان يقفز راقصاً وكادت الصرخة تنطلق من بين شفتي " لوك " حين وقع بصره على يدي " الزويرثي " . كانت يدها ملطختين بالدماء ، وكان الدم متجمداً .

حين عاد " لوك " إلى القصر تناهت إلى سمعه حركة صادرة من خلفه من وسط الشجيرات .

وهز شبح أسود ملتف بمعطف سابغ ، وغشيت " لوك " بادرة مفاجئة من الخوف ، ولكنه ما لبث أن تبينه حين دنا منه ، وهتف به :

— " بريدجيت " .. ؟ لقد أفرعتني .

فسألته في صوت جاد بادي القلق :

— أين كنت حتى الآن .. ؟ لقد شعرت بك وأنت تغادر القصر ، وأردت أن ألحق

بك ، ولكن الظلام حجبك عني فرأيت أن أنتظرك هنا حتى تعود .

وعادت تسأله :

— أين كنت .. ؟

وأجاب :

— لقد أغرت على بيت السيد " الزويرثي " .

— وهل اهتديت إلى شيء .. ؟

— أعتقد ذلك ... ثلاثة أشياء قد يكون لها مغزى .

وروى لها كل شيء عن مغامرته الليلة .

وهمست " بريدجيت " :

— هذا رهيب .. دماء متجمدة على يديه .. ترى من قتل الليلة ؟

فقال " لوك " :

— هذا هو السؤال الذي يدور بخاطري .

وسارا متجهين إلى القصر .

وفي صوت متهدج التبرات قالت " بريدجيت " :

— لقد عدلت عن فكرة الزواج من اللورد " هويتفيلد " .

فسألها في دهشة :

— حقاً .. ؟

وأومأت برأسها إيجاباً وهي تقول :

— نعم .

— وهل ستتزوجيني .. ؟

فاجابت :

— هذا ما قررته .

وحين اقتربا من البوابة تسمرت الفتاة فجأة مكانها :

— " لوك " ... انظر ... ما هذا .. ؟

وعلى ضوء القمر تبينا الشيء الذي أفرغ " بريدجيت " .

كانت عند بوابة القصر جثة مكومة على الأرض .

وخلى " لوك " ذراعه من ذراع الفتاة ، وأسرع إلى الجثة المسجاة ، ومال فوقها

يتأمل وجهها وعرف صاحبها على الفور .. إنه " ريفرز " سائق سيارة اللورد .

هتف " لوك " :

- إنه السائق " ريفرز " ... إنه ميت .
- وفحص " لوك " الجثة .. كان رأس المسكين يكاد يكون مهشماً ، وكان إلى جانبه أحد التمثالين الحجريين المركبين على العمودين اللذين يحفان بالبوابة .
- وقالت " بريدجيت " :
- مسكين " ريفرز " .. لقد سقط عليه تمثال الفهد فهشم رأسه ، فقد كان أحد التمثالين مزعزعاً ومخلخلاً وأقل هزة كفيلة بإسقاطه .
- فهتف " لوك " :
- إنها جريمة قتل مدبرة .. لقد أراد القاتل التضليل فقتله ثم هشم رأسه بالتمثال ؛ حتى يوهم من يراه أن التمثال وقع مصادفة ففضى عليه .
- فقال " بريدجيت " في نبرة اعتراض :
- ولكن أنى لك أن تعرف هذا ؟
- انظري ما الذي وجدته عالقاً برأسه وكتفيه .. حبات من الرمل ... وهذا معناه أنه ضرب على رأسه بكيس من الرمل ثم هشم القاتل رأسه بالتمثال الذي كان يعلو العمود القائم بجانب البوابة وذلك لتضليل الشرطة ، حتى يقال إن التمثال وقع فوقه فهشم رأسه .
- واستطرد " لوك " في انفعال :
- كنا نفتقر إلى الدليل الحاسم ، أما الآن فالدليل حاضر ... إن " الزويرثي " هو القاتل لا مرء في ذلك .. لقد رأيت والدم متجمد فوق يديه ... وتابع " لوك "
- الحديث قائلاً :
- كانت سحنه منقلبة .. كان له وجه الشيطان ، والزيد يعلو شفثيه ... وكانت يدها ملطختين بالدم ، وكنت أتساءل عمن قتل ، أما الآن فقد عرفت الجواب .. إنه هو الذي قتل " ريفرز " .
- وهمست " بريدجيت " وهي ترتعد :

- مسكين " ريفرز " . وضمها " لوك " إلى صدره وهو يقول :
- لا تخشي شيئاً بعد الآن يا حبيبتي .. كل شيء قد انتهى الآن .
- فقالت وهو يمسح على شعرها في رقة :
- ما دمت بجانبك فلا يخامرني الخوف أبداً .

- 17 -

- تفرس الدكتور " توماس " في " لوك " وقال :
- بديع .. هل أنت جاد حقيقة يا سيد " فيتز ويليام " ؟
- بالتأكيد جاد .. إنني مقتنع تمام الاقتناع بأن " الزويرثي " مجنون خطر .
- الواقع أنني لم ألتج إليه بالاً ، وإن كان من الممكن أن أقول إن له شخصية شاذة .
- فقال " لوك " :
- أما أنا فيمكن أن أقول إنه مجنون تماماً .
- وهل تعتقد أنه هو الذي قتل السائق ؟
- ألم تر حبات الرمل العالقة برأس القتييل ؟ هذا معناه أن هناك من ترصده عند بوابة القصر ، ثم ضربه على رأسه بكيس من الرمل ، فلما أغمي عليه قتله ، ثم هشم رأسه بالتمثال حتى يقال إن التمثال المخلخل هو الذي سقط قضاء وقدرأ فوق جمجمته .
- وتراجع الدكتور " توماس " في مقعده وقال :
- ليس ضرورياً أن يكون الحادث قد وقع على الصورة التي ترسمها ، أقصد أنه من المحتمل أن يكون " ريفرز " قد رقد في بقعة رملية لياخذ حماماً شمسياً ، وفي قصر اللورد بركة سباحة صناعية حولها شاطئ رملي .
- وقال " لوك " في نبرة حانقة :
- يبدو أنك لا تصدق حرفاً مما أقول .. ؟

وابتسم الدكتور "توماس" في رقة وقال :

- إنك تتهم "الزويرثي" بأنه قتل "إيمي جيبس" ، و"تومي بيرس" ،
و"كارتر" صاحب الحانة ، والدكتور "هامبلباي" ، وأخيراً السائق "ريفروز" ..
يمكن أن يكون في هذه الدنيا "قاتل بالجملة" على مثل هذه الصورة ؟

فقال "لوك" والسخط ساد في صوته :

- إذن فانت تنكر ما أقول ولا تصدقني ؟

- لو أن الدليل حاضر لديك ، لآمنت بكل حرف .

فقال "لوك" :

- إنني أعرف أنني على صواب ، وغداً سأذهب إلى "اسكتلنديارد" وأحدثهم
في الأمر .

- هذه في الحق فكرة صائبة يا سيد "فيتز ويليام" ، فإن لديهم من الوسائل ما
يكشف الحقيقة .

سألته "بريدجيت" عما فعل مع "توماس" فقال :

- إنه لم يصدقني .. قال إنني أجري وراء ترهات عجوز مخرفة ، وأنه لا يمكن أن
يكون هناك "قتل بالجملة" على مثل هذه الصورة . وأن ما رويته له لا يعدو أن
يكون قصة خرافية ينقصها الدليل .

وأردف "لوك" :

- إن الدكتور "توماس" على حق في هذا ، لاني مازلت مفتقراً إلى الدليل ،
ولذلك سأذهب إلى "اسكتلنديارد" غداً وأدعوهم إلى القيام بتحقيق شامل .

وقالت "بريدجيت" ولمسة من الخوف تشيع في صوتها :

- "لوك" .. إنني قلقة بشأنك . إنك تعمل في وضوح ، ولا شك في أن القاتل
عرف أنك في أعقابه .

فأجاب "لوك" :

- إني أتمحى الحذر على قدر الإمكان ، فلا أتوغل في الغابة ولا أخرج ليلاً ، فإنني أعرف أنني الآن رجل مطارِد . وبعد سكتة قصيرة سالها " لوك " :
- ما الذي تنوين بشأن اللورد " هويتفيلد " و الخطبة ؟
- فاجابت :
- سأكاشفه غداً بأنني فسخت الخطبة ؟ ولا شك في أن الامر سيضايقه .
- فقال " لوك " في استغراب :
- قل لي إنك ستتسبب له في صدمة شديدة . ولهذا أوتر أن نترث .
- لا أظن ، ومع ذلك سأفضي إليه بالنبا في رفق .
- وفي ذلك المساء جلس " لوك " يستمع إلى اللورد " هويتفيلد " وهو يتحدث عن نشأته الوضيعة وعن كفاحه حتى استطاع أن يكون صاحب مجموعة من الصحف ، وأن يفوز بلقب اللورد . بيد أن " لوك " كان يخامره الارتباك وأحس أنه خسيس النفس ، فها هوذا يأكل على مائدة الرجل ، ويقيم في داره ، ومع ذلك لا يتورع عن أن يسرق منه خطيبته .
- وقال يخاطب " لوك " عن مصرع سائقه :
- ألم أقل لك إن نهاية هذا الرجل سوف تكون سيئة ؟
- فقال " لوك " مؤمناً :
- إنك قلت هذا فعلاً .
- أرايت إذن أنني كنت على صواب ؟
- وأردف " هويتفيلد " وعلى شفثيه ابتسامة عريضة :
- من العجيب أنني دائماً على صواب في كل ما أتناه به .. إني لشديد الإيمان بالقدرة الإلهية ، هذا هو السر في صدق تنبؤاتي .
- واستطرد " هويتفيلد " :
- إنني رجل تقي متدين ، وأومن بالقصاص الإلهي ، وأن الله يجزي المحسن

ويعاقب المسيء ، فإذا أنت أحسنت إلى الله أحسن الله إليك ، وإذا راعيته رعاك .
ولهذا ما أساء إليّ إنسان إلا حققت عليه العدالة الإلهية .
واسترسل " هويتفيلد " يقول :

– نعم .. إن من يسيء إليّ لا يمكن أن يفلت من الجزاء .. أتذكر كيف تهجم عليّ " ريفرز " .. والآن أين هو اليوم .. ؟ جثة هامدة ، لقد عاقبه الله جزاء اجترائه عليّ .. لقد حل عليه غضب الله لأنه أساء إليّ ..
ولم يجد " لوك " ما يعقب به ، فظل صامتاً يتطلع إلى اللورد " هويتفيلد " منصتاً .

ومضى اللورد يتابع الحديث :

– إن العقاب ينزل على الفور بأعدائي .. إن من يعاديني لا يستحق أن يعيش .
إنني قديس يا سيد " فيتز ويليام " وبركتي تحمل على المخلصين ، ولعنتي تنزل بكل من يناصبني العدا .

أرأيت ما أصاب ذلك الصبي " تومي بيرس " .. ؟ فاجأته في الحديقة وهو يقلدني بصورة هزلية وخدمي يضجون بالضحك ، ولم تمض أيام حتى سقط من فوق حافة النافذة ومات .. ثم هذا الصعلوك " كارتير " جاء إلى بيتي هنا وأخذ يسب ويشتم ، فماذا حدث له .. سقط في النهر ومات غريقاً .. إن العدالة الإلهية لا تهمل .. " وهامبلباي " .. اختلف معي بشأن مشروع المياه ، ورماني بأقذع الألفاظ فتسمم بدوره ومات .. والسيدة " هورتون " .. ؟ لقد كانت تعاملني بصلف وازدراء ، ولهذا لم يمتد بها الأجل طويلاً ، وإنما عاجلها الموت جزاء إهانتها لي .. و " إيمي جيبس " .. هي الأخرى ماتت عقاباً لها على ردودها الوقحة عندما أنبتها على عودتها إلى القصر بعد منتصف الليل .

وتذكر " لوك " عند هذا ما حدث به النقيب " هورتون " حين قال له إن اللورد " هويتفيلد " كان شديد العطف على زوجته في مرضها ، وأنه كان يبعث إليها كل

يوم بعصير الفواكه من حديقته .
وسال "لوك" نفسه : " ترى أكان العصير مسموماً .. ؟ أ يكون هذا هو السبب في
النكسة الشديدة التي أصابت السيدة " هورتون " فجأة بعد أن تماثلت للشفاء؟ " .
واختتم اللورد " هويتفيلد " حديثه بقوله :
- أ رأيت يا سيد " فيتز ويليام " .. كل أعدائي يموتون ... كلهم يموتون ..
وفرك كفيه في انفعال وابتهاج ، وأخذ يقول :
- إنني قديس .. نعم .. إنني رجل مبارك ..

- 18 -

أصغى السيد " ويليام أوسنجنجتون " في اهتمام إلى حديث صديقه " لوك فيتز
ويليام " ، فلما أفضى بما عنده سألته :
- إذن فهذا الرجل مخبول في اعتقادك .. ؟
- هذا لا ريب فيه ، بيد أنه مسؤول عن جرائمه ، ولهذا أرجو أن تبعث بأحد
رجالك لكي يتولى التحقيق في الحوادث بصفة رسمية .
فقال مدير إدارة " اسكتلانديارد " :
- إنني على استعداد لأن أفعل هذا إكراماً لك .
- شكراً لك .. ولكنني أريد أولاً أن أعرف الظروف التي أحاطت بموت سيدة
تدعى السيدة " بنكرتون " ، دهمتها إحدى السيارات يوم سباق الـ "دربي " ، أمام
إدارة " اسكتلانديارد " وفر سائقها هارباً .
وبعد أقل من عشر دقائق دخل أحد الضباط يحمل المعلومات المطلوبة . وتصفح
السيد " أوسنجنجتون " الملف وقال :
- ماتت المرأة لساعتها وفر السائق ، وأصدر وكيل النيابة أمراً بالقبض عليه ، ولا
يزال هارباً .

— وما نوع السيارة .. ؟

— من المؤكد أنها " رولز رويس " ، وقائدها يرتدي الزي الرسمي : قبعة ومعطف سائقي السيارات .

— وهل عرفتم رقم السيارة .. ؟

— عرفناه ، فقد استطاعت إحدى السيدات أن تقرأه ، ولكنها لم تتقدم إلينا بنفسها ، وإنما ذكرته لسيدة أخرى شهدت الحادث ، ثم انصرفت .
والسيدة الثانية هي التي أدلت إلينا بالرقم ، وأغلب الظن أنها أخطأت ، إذ إنه لم يسفر عن نتيجة .

فتساءل "لوك" في دهشة واستغراب :

— وكيف لم يسفر رقم السيارة عن نتيجة ؟

— إن الرقم 4498 هو رقم سيارة الـ "رولز رويس" المملوكة للورد "هويتفيلد" ، ساعة وقوع الحادث كانت السيارة متروكة أمام مشرب "بوم" ، أما السائق فكان داخل المشرب يتناول قدحاً من الشاي ، وقد شهد بذلك جميع سقاة المشرب ، فلا بد أن الشاهدة أخطأت .

وهز "لوك" رأسه وهمس :

— مفهوم .

واستطرد "لوك" :

— أرجو أن تعيرني سمعك يا سيد "أوسنجتون" .. هذه المرأة السيدة "بنكرتون" كانت تعرف شخصية القاتل ، ويوم سباق الـ "دربي" حضرت إلى "لندن" ، لتفضي إلى "اسكتلانديارد" بشكوكها ، وبطريقة ما عرف القاتل بنيتها ، ودهمها بسيارته وهي تعبر الطريق .. وأدلت إحدى السيدات برقم السيارة وعرف أنها ملك للورد كبير الشأن ذي شخصية مرموقة فاستبعد البوليس أن تكون هذه السيارة ، هي التي دهمت المرأة وأثر أن يقول : الشاهدة هي التي أخطأت .

— ما الذي تريد أن تقول يا عزيزي "لوك" .. ؟

— أريد أن أقول إن اللورد "هويتفيلد" هو القاتل .

وهبَّ السيد "أوسنجتون" واقفاً وهو يهتف :

— ما هذا التخريف يا عزيزي ؟

— لأنه رجل عظيم ؟ . ولكن ألم يحدث قط أن نفرأ من العظماء ارتكبوا جرائم

القتل .. ؟ لقد ترك اللورد سائقه يتناول الشاي في المشرب ، وركب السيارة ،
وتخفى بارتداء قبعة سائق ومعطف سائق . وبعد أن قتل المرأة التي كشفت سره ،
أعاد السيارة مكانها .

— هذا مستحيل .. !

— لا يمكن أن يكون مستحيلاً إذا عرفت يا عزيزي أن اللورد كان يتفاخر الليلة
الماضية بجرائمه .

— إذن فهو مجنون ؟

— بل قل إنه مهووس ! إنه يعتقد أنه قديس ... وفي حديثه معي بالأمس ذكر أن
كل من ينصبه العداء لأبد أن يموت ، وأشار إلى أسماء ضحاياه قائلاً إنهم جميعاً
أهانوه فلم تمضِ أيام حتى ماتوا .

وروى "لوك" لمدير "اسكتلنديارد" تفاصيل الحديث الذي دار بينه وبين اللورد
"هويتفيلد" وقال له السيد "أوسنجتون" :

— عد الآن إلى القرية ، وراقب بعين يقظة كل ما يجري حولك ريثما أعد خطتي
للإيقاع بالقاتل .

وفي صباح اليوم التالي رجع "لوك فيتز ويليام" إلى قرية "آش" وذهب إلى
بيت الأنسة "وينفليت" ، وقادته الوصيفة إلى قاعة الطعام حيث كانت ربة الدار
تتناول فطورها .

واعترض عن حضوره في مثل تلك الساعة وقال :

– الواقع أن لدي سؤالاً مهماً قد يؤدي إلى إماطة اللثام عن شخصية القاتل . إنه سؤال شخصي محض ، فعسى أن تغفري لي فضولي .

فردت الآنسة "وينفليت" في رقة وعلى شفيتها ابتسامة مشجعة :

– سل ما شئت إذ يسعدني أن أعاونك في الإيقاع بهذا السفاح .

– شكرا لك يا آنسة "وينفليت" .. والآن هل يمكن أن أعرف السبب في فسخ

خطبتك للورد "هويتفيلد" .. ؟

وتضرج وجه المرأة احمراراً .

فسألته :

– ألم يفض إليك "جوردون" بالسبب ؟

– كان كل ما قاله إن فسخ الخطبة نشأ بسبب طائر كناريا دق عنقه .

فقالت :

– إذن فقد اعترف .. هذا غريب !

– هل لك أن تدلي إلي بالتفاصيل كاملة .

– إليك القصة إذن .. ولكن أرجو ألا تشير إليها مع "جوردون" فليس ثمة ما

يدعو إلى نبش الماضي .

ووعدها "لوك" بالكتمان فانشأت الآنسة "وينفليت" تقول :

– كان لدي عصفور كناريا أولعت به ولعاً شديداً وفي أحد الأيام قال "جوردون"

والضيق آخذ به : اعتقد أنك تحبين هذا العصفور أكثر مني .. وكنت ، إذ ذاك فتاة

غريرة فرددت عليه بعبارة معناها أنني فعلاً أحب هذا الكناريا أكثر مما أحبه هو ..

فجأة انقض "جوردون" على العصفور وانتزعه من يدي ، وقصف رقبتة .

واستطردت تقول :

– عندئذ استولى عليّ رعب شديد ، فالرجل الغيور إلى هذا الحد لا يمكن

الاطمئنان إلى سلوكه ، ولهذا لم أتردد في فسخ الخطبة .

والقت الآنسة " وينفليت " بيدها على ذراع " لوك " ، وتعلقت نظراتها المستفسرة بعينييه ، وهمست تقول :

- السيد " فيتز ويليام " .. هل لك أن تكاشفني بالحقيقة ؟ من يكون القاتل ؟
أجاب :

- اللورد " هويتفيلد " هو الذي اقترف كل هذه الجرائم .. وأنت كنت تعرفين هذا منذ البداية .

وأجابت الآنسة " وينفليت " والكلمات ترتعد على شفثتها :
- لا .. لم أكن أعرف . ولو أنني عرفت لما كتمت الامر عنك ، ولكنني كنت خائفة .. مرتابة .

وعادت الآنسة " وينفليت " تقول :
- إنني سعيدة بأن فسخت الآنسة " بريدمجيت " خطبتها له ، فقد تناهى إليّ أنها قررت أن تتزوجك بدلاً من " جوردون " ، أليس كذلك .. ؟
فأجاب :

- بلى .
- ولكن ينبغي أن تكونا أنتما الاثنان على حذر ، فاللورد " هويتفيلد " لن يتورع عن قتلكما . ولعل من الأفضل أن تكتما عنه الامر حتى ترحلا عن القرية .
فقال " لوك " :

- أصبت وسأخذ بمشورتك .
- نعم .. خذها بعيداً قبل أن يفوت الاوان .

- 19 -

سمعت " بريدمجيت كونواي " دوي سيارة " لوك " وهو راجع إلى القصر ،
فخرجت تستقبله عند الدرج وابتدرته بقولها :

– لقد قلت لـ "جوردون" إني فسخت الخطبة .

وبهت "لوك" جزعاً وهتف يقول :

– يا إلهي ... ! بالله عليك لِمَ فعلت هذا ؟ إننا اتفقنا على أن نرجئ إبلاغه
فسخ الخطبة .

– هذا صحيح ولكنني حين وجدته يتحدث إليّ عن ترتيب حفل الزفاف شعرت
بالخسة وأنا أكتّم عنه أنني فسخت الخطبة .

– وكيف تلقى "هويتفيلد" النبأ .. ؟ هل ثار واهتاج ؟

– بل تلقاه بهدوء شديد ، وقدم إليّ أطيب التهنئة في حرارة حتى لقد شعرت
بالخزي والحجل .

وأردفت "بريدجيت" :

– إنه في الحق رجل عظيم .

ولم يشأ "لوك" أن يصارحها بأن "هويتفيلد" هو ذلك القاتل السفاح ، وإنما
اكتفى بأن قال :

– اسمعي يا "بريدجيت" .. يجب أن تغادري القصر في أسرع وقت ممكن .

فقالت :

– هذا مؤكد .. سأغادر القصر اليوم ، ويمكننا أن ننزل معاً في فندق
"الأجراس" .

– بل يجب أن ترجعي اليوم إلى "لندن" .

– وما الذي يدعونا إلى هذه العجلة ؟

– سأصارحك بالأسباب فيما بعد ، فاذهبي الآن لحزم أمتعتك .

فقالت :

– سأكون جاهزة في خلال عشر دقائق على الأكثر .

ومضى "لوك" إلى غرفته ، فدرس ثيابه في حقيبتة ، ورجع إلى "بريدجيت"

فوجدها في انتظاره . وفيما كانا يهبطان الدرج جاء إليهما الوصيف ينبئهما بأن
الآنسة "وينفليت" في قاعة الاستقبال وأنها ترغب في مقابلة الآنسة
"بريدجيت" ... ومضت "بريدجيت" إلى قاعة الاستقبال و"لوك" في أعقابها .
وكان اللورد "هويتفيلد" يتحدث إلى الآنسة "وينفليت" ، وفي يده خنجر ذو
نصل طويل ، وهو يقول :

- إنه صناعة فنية ممتازة وبه نقوش شرقية غاية في الجمال ... إنه مصنوع في
"مراكش" ، وقد أهداه إليّ أحد أصدقائي ممن زاروا الشرق .
ومرّ "هويتفيلد" بأصبعه على النصل ، وقال :
- إنه نصل حاد قاطع .

وهتفت به الآنسة "وينفليت" في ارتياح :
- بالله عليك يا "جوردون" هلاً تركت هذا الخنجر .. !
وابتسم "هويتفيلد" ورد الخنجر إلى مكانه بين شتى الأسلحة الموضوعة على
المنضدة وهو يقول :

- إنني أحب ملمس الخنجر .
- إن لك يا "جوردون" نزعات وحشية مرعبة .
والتفتت الآنسة "وينفليت" إلى "بريدجيت" ترحب بها ، فقال اللورد :
- استمتعي الآن يا "هونوريا" بصحبة "بريدجيت" ، فإنها لن تبقى معنا
طويلاً .

فتساءلت الآنسة "وينفليت" في صوت حاد النبرات :
- بالله ماذا تعني ؟ !
فاجاب :

- إن "بريدجيت" لن تتزوجني يا "هونوريا" .. قد آثرت عليّ "فيتز
ويليام" ألا ما أغرب الدنيا !

وعند هذه الكلمات استدار من فوره وغادر القاعة .

وقالت الآنسة "وينفليت" في نبرة تفيض يأساً :

- رياه .. ! إنه غاضب .. غاضب بشكل مخيف .. ! إنني خائفة .. ! والآن ما

العمل ؟

فحملت إليها "بريدجيت" وتساءلت :

- ماذا تعنين . ؟

- ما كان ينبغي أبداً أن تخبراه بفسخ الخطبة .

فهزت "بريدجيت" كتفها في غير احتفال وقالت :

- من الأفضل دائماً أن يواجه المرء - بأسرع ما يمكن - المواقف المزعجة ، ثم

يطرحها جانباً وينساها .

- هذا إذا اقتصر الأمر على أنها مجرد مواقف مزعجة، أما في حالتك فلهذا

الموقف عواقب وخيمة .

وهزت "بريدجيت" كتفها في غير اكتراث وقالت :

- فليكن ... لست أبالي بما سوف يحدث .

وتطلعت الآنسة "وينفليت" إلى "لوك" مستفسرة فرد في صوت خافت :

- لا .. لم أخبرها .

فتساءلت "بريدجيت" :

- بأي شيء تخبرني .. ؟

وبعد سكتة قصيرة قالت الآنسة "وينفليت" :

- الواقع أنني جئت أدعوك إلى الإقامة في بيتي ؛ إذ شعرت بأن الإقامة هنا في

القصر لن تطيب لك بعد فسخ الخطبة .

- شكراً لك على هذه الرعاية ، ولكنني سأقيم في بيت عمتي في "لندن" ،

وسأترك لها هنا رسالة أخطر بها بذلك ، فقد خرجت اليوم لمشاهدة معرض للأزهار .

فقالت الآنسة "وينفليت" معترضة :

— إذن ستبيتين وحدك في بيت عمته .. ؟ إني أؤثر أن تبيني عندي ، ففي بيتي مستكونين آمنة .

فقالت "بريدجيت" في دهشة :

— آمنة .. ؟ ماذا تعنين ؟

فأجابت :

— أردت أن أقول مرتاحة .

وانبرى "لوك" يقول :

— إني أؤثر أن تبيني في أحد الفنادق وليس في بيت عمته .

فتطلعت إليه "بريدجيت" مستفسرة ، وتساءلت :

— ما هذا ؟ إنكما تعاملانني كأنني طفلة غريبة .. ما سر هذه المعاملة ؟

أريد أن أعرف .

فقال "لوك" :

— سأحدثك بكل شيء يا عزيزتي ، ولكن ليس هنا في هذا القصر .. هيا بنا

الآن إلى بيت الآنسة "وينفليت" ، وهناك أفضي إليك بكل ما أعرف .

وغادر الثلاثة القصر معاً ، واستقلوا سيارة "لوك" .

وفيما كانت السيارة منطلقة إلى بيت الآنسة "وينفليت" راح "لوك" يقول :

— حمداً لله على أن أخرجتك من القصر سالمة .

فاستدارت إليه "بريدجيت" ، وقالت في استغراب :

— سالمة ؟ ماذا تعني يا "لوك" ؟

و أجابها "لوك" في صوت ينم على الحيرة :

— الواقع يا "بريدجيت" أن من أشق الأمور على النفس أن يقول المرء لفتاة كانت

تنوي أن تتزوج رجلاً معيناً ، إن هذا الرجل مجنون وقاتل .

تسمرت "بريدجيت" في مقعدها كأن عضلاتها قد تجمدت وفقدت القدرة على الحركة .. وبعد لحظات تمالكت فيها نفسها من هول المفاجأة أخذت تقول:

— أتريد أن تقول إن "جوردون" قاتل ؟ هذا مستحيل ! هذا هراء !
فقال "لوك" :

— نعم .. إنه قاتل مجنون .

فقالت "بريدجيت" في إصرار :

— "جوردون" لا يستطيع أن يؤدي فراشة .

— إنني موقن أنه قتل عدداً كبيراً من الناس آخرهم "ريفرز" .

وهزت "بريدجيت" رأسها سلباً وقالت بإصرار :

— عزيزي "لوك" .. إنني لا أصدق حرفاً مما تقول .

— وأنا نفسي لم أكن أصدق هذا .

— ولكنك منذ يومين أخبرتني أن "الزويرثي" هو القاتل .

— كنت مخطئاً . أما الآن فلدي الدليل القاطع على أن "هويتفيلد" هو

القاتل .. لقد اعترف لي هو نفسه بما يقطع أنه القاتل . قال لي إن كل من يسيء

إليه لابد أن ينزل به العقاب الإلهي . وقال لي أيضاً إنه قديس ، ثم سرد عليّ

أسماء الذين ماتوا في القرية ، وقال إنهم ماتوا عقاباً لهم على أنهم آذوه وأساءوا

إليه . ثم إنه هو الذي دهم السيدة "بنكروتون" بسيارته في "لندن" فقتلها .. لقد

ذكرت إحدى السيدات للشرطة رقم السيارة ، وتبين أنه رقم سيارة اللورد

"هويتفيلد" ، ولكن البوليس استبعد الأمر واعتقد أن الشاهدة أخطأت في الرقم

ويجب أن أضيف أن الجنون متأصل في "هويتفيلد" منذ الصبا؛ فعندما خطب

الآنسة "وينفليت" في شبابه كان لديها عصفور كناريا وكانت مولعة به ، فما كان

من "هويتفيلد" إلا أن قصف رأس العصفور غيرة منه .

- أفعَل هذا حقاً .. ؟ ياله من وحش ! ولكن ما الدافع لقتل هؤلاء الناس جميعاً .. ؟

- كلها دوافع تافهة ... مجرد كلمة نابية .. أو خلاف في الرأي .. ولا شيء أكثر من هذا .

- والآن ماذا تنوي أن تفعل ؟

- لا أدري بعد ، فإنني مازلت مفتقراً إلى الدليل .

وهتفت "بريدجيت" في حماس وانفعال :

- إن لدي فكرة ... إنني أستطيع أن أساعدك في الحصول على الدليل القاطع .
فصرخ فيها "لوك" :

- مستحيل أن أسمح لك بهذا إنه لن يتورع عن قتلك .

- أتريد مني أن أنزوي منكشمة ، وأترك هذا السفاح يقتال الناس .

فرد "لوك" معترضاً بقوله :

- "بريدجيت" .. يجب ألا تزجي بنفسك في هذا . سافري حالا إلى "لندن" .

- بل سابقي .. فسألبي دعوة الآنسة "وينفليت" وسأقدم الدليل القاطع الذي يدين هذا السفاح المجنون .

وتكلمت الآنسة "وينفليت" قائلة :

- مرحباً بك في بيتي يا "بريدجيت" .

فقالت "بريدجيت" :

- ولكنك قد تستهدين للخطر مثلي .

وكان رد الآنسة "وينفليت" أن قالت في حماس وانفعال :

- أعلم ذلك ، ولكننا يجب أن نتضامن معاً في الإيقاع بهذا السفاح .. نعم ..

يجب أن نقف معاً .. جنباً إلى جنب في مكافحة الجريمة والإجرام .

توقفت السيارة أمام بيت الأنسة "وينفليت" ومضت ربة الدار بضيفتها إلى قاعة الاستقبال .

وقال "لوك" :

- الآن .. أستطيع أن أتركك في رعاية الأنسة "وينفليت" أما أنا فسأقيم في فندق "الأجراس" .

وعقبت الأنسة "وينفليت" على ذلك بقولها :

- إن "جوردون" لن يجسر على أن يمسه بسوء وهي في رعايتي .

فقال "لوك" :

- إن أمره لن يطول على أية حال ، فسيصل اليوم المفتش "باتل" من "اسكتلانديارد" ليتولى التحقيق .

واستطرد "لوك" قائلاً :

- إنني ذاهب إلى قصر اللورد "هويتفيلد" لأحضر الحقائق . وسوف أتصل بك تليفونياً من فندق "الأجراس" عندما أذهب إليه بالحقائب .

وطبع قبله على وجنتيها ، وشيعته "بريدجيت" إلى باب الدار حيث انطلق في سيارته إلى قصر اللورد "هويتفيلد" .

قالت الأنسة "وينفليت" تخاطب "بريدجيت" :

- لن تمضي دقائق يا عزيزتي حتى تكون "إميلي" قد فرغت من إعداد غرفتك . ثم أردفت :

- لا شك في أنك مرهقة الأعصاب . وسأتيك بقدح من الشاي يرد إليك نشاطك وحيويتك .

- شكراً لك يا آنسة "وينفليت" ... إنني لا أريد شيئاً على الإطلاق .

ولكنها في الواقع كانت في حاجة إلى قدح من الشراب ، فضلاً عن أنها كانت

تمقت الشاي لما يسببه لها من عسر في الهضم .

و غادرت الآنسة "وينفليت" الغرفة ، وعادت بعد بضع دقائق تحمل صينية عليها قدحان يتصاعد منهما البخار ، وتفوح منهما رائحة الشاي المعطر .

وقدمت أحد القدحين إلى "بريدجيت" وهي تقول :

— إنه شاي صيني من أجود الأنواع .

أما "بريدجيت" فكانت تكره الشاي عموماً والصيني على وجه الخصوص ، ولكنها كانت مضطرة إلى احتسائه ؛ إكراما لربة الدار . ولكن أنقذها من هذه المجاملة

الممقوتة أن دخلت الوصيفة "إميلي" تقول :

— لقد أعددت غرفة الضيوف يا سيدتي، ولكن لاتزال تنقصها وسادتان .

ونهضت الآنسة "وينفليت" وهي تقول :

— سأتيك بهما حالا .

واغتنمت "بريدجيت" فرصة خروج الآنسة "وينفليت" من الغرفة، فبادرت إلى النافذة بقدح الشاي، وأفرغت محتوياته في الحديقة، ثم ارتدت إلى مقعدها مسرعة .

وعندما عادت الآنسة "وينفليت" إلى الغرفة بعد بضع دقائق، قالت "بريدجيت" تحدثها :

— لقد طال غياب "لوك" . اليس كذلك ؟

— لا داعي للقلق يا عزيزتي .. إنه لن يلبث أن يتصل بك تليفونياً .

وفعلا لم تمض لحظات حتى رن جرس التليفون . فركضت إليه "بريدجيت" في لهفة .

وكان "لوك" هو المتحدث .. قال :

— إنني الآن في فندق "الأجراس" ، وحقائبك معي، ولكنني لن أستطيع أن آتيك بها إلا بعد الغداء، فقد وصل المفتش "باتل" وهو يريد أن يتحدث إليّ .

فقالت :

- لا بأس .. إنني لست الآن في حاجة ملحة إليها .

- إذن إلى اللقاء يا حبيبتي .

وروت "بريدجيت" للآنسة "وينفليت" فحوى الحديث الذي دار بينها وبين "لوك" . وكانت "بريدجيت" في الواقع مشدودة الأعصاب ، فما إن استوت على مقعدها الوثير حتى ثاءبت . وقالت لها الآنسة "وينفليت" وقد لاحظت ذلك :

- إنك متعبة يا عزيزتي ! .. يحسن بك أن ترقدي قليلا وتستريحى ... ولكن لا .. لا ترقدي ، فالنوم قبل تناول الغداء يفسد الهضم ! .. إنني خارجة الآن لأقدم شيئاً من الثياب القديمة إلى عجوز فقيرة تسكن كوخاً في الغابة ، فهلا صحبتني لنتمشى معاً ، فهذا كفيل بأن ينعشك ويريح أعصابك .

وأدهش "بريدجيت" أن رأتها تلبس قفازاً ، فالفقاز لا يلبس في الصيف . ووافقت "بريدجيت" وخرجتا من الباب الخلفي .

وكانت الآنسة "وينفليت" تضع على رأسها قبعة من القش . واخترقتا بعض الحقول ، حتى انتهيتا إلى طريق ضيق غير ممهد ، تكسوه الحجارة والحصى ، فسارتا فيه متجهتين إلى مدخل الغابة .

كانت الشمس تتوسط كبد السماء . وأشعتها تلهب الأرض بسعيرها ، وكانت "بريدجيت" متعبة مكدودة تنتزع قدميها من الأرض في صعوبة .

ولاحظت الآنسة "وينفليت" ما اعترى صاحبته من كد ونصب فقالت لها وقد بلغتا من الغابة رقعة ظليلة :

- ألا تجلس هنا قليلا حتى تصيبي شيئاً من الراحة ؟

- شكراً لك ، فالحق أنني متعبة .

وافترشتا الأرض ، وأسندت "بريدجيت" ظهرها إلى شجرة وارفة الظلال ،

وأطبقت عينيها لتتقي وهج الشمس .

وبعد سكتة قصيرة قالت الآنسة "وينفليت" في صوت خافت :

— أعتقد أن السماء سوف تمطر الليلة .

فأجابت "بريدجيت" في صوت يغالبه النعاس :

— أعتقد ذلك .. نعم .. ستمطر الليلة .

وتشاءبت في كسل وهي تغالب النعاس .

وبعد لحظات عادت الآنسة "وينفليت" تقول :

— إنك متعبة يا عزيزتي .. متعبة جداً .. إنك بالتأكيد تريد أن تنامي ... نامي إذا شئت .

وما إن نطقت الآنسة "وينفليت" بهذه الكلمات حتى انتبهت "بريدجيت" من غفوتها الطارئة . كان في صوت الآنسة "وينفليت" نبرة شاذة غريبة .. كان صوتها وهي تنطق بهذه الكلمات أشبه بصوت المنوم المغناطيسي حين يحاول تنويم الوسيط .

وأدهش الصوت "بريدجيت" ففتحت عينيها . ورأت الآنسة "وينفليت" مائلة بجسدها إلى ناحيتها ، وفي عينيها نظرة حافلة باللهفة ، وهي تلعق شفتيها بلسانها شأن الوحش عندما يهم بالتهام فريسته .

وعادت الآنسة "وينفليت" تردد نفس الكلمات بنفس النبرات .

— نعم .. إنك متعبة جداً .. إنك نعسانة جداً ... إنك تريد أن تنامي .

وفي هذه المرة استشفت "بريدجيت" المغزى الحقيقي لهذه النبرات ، وبرق في ذهنها وميض من الفهم . لقد ارتابت يوماً في الآنسة "وينفليت" ، وخامرتها الوسواس ، ولكنها لم تكن متيقنة . أما الآن .. وأمام هذه النبرات ، فقد أصبحت على يقين .

وفجأة تذكرت الشاي الذي قدمته لها الآنسة "وينفليت" لقد قالت لمضيفتها

إنها لا تريد أن تتناول شيئاً، ولكن الآنسة "وينفليت" أصرت وتشبثت وجاءتها بالشاي. فما يدريها أنها مزجت به شيئاً، ولكن ترى ما عسى أن يكون هذا الشيء الذي وضعته في الشاي...؟ أيكون سمّاً زعافاً قاتلاً... أم عقاراً منوماً؟

ولكن الآنسة "وينفليت" لا تعلم أن "بريدجيت" لم تشرب الشاي، فعليها إذن أن تتظاهر بأن العقار المنوم بدأ يؤتي مفعوله، وأن النوم أخذ يغالبها.

نعم... فلتفعل ذلك لترى ما سوف يكون من أمر الآنسة "وينفليت" وقالت "بريدجيت" لنفسها: "إنني أوفر منها قوة، لا بد أن أتغلب عليها بسهولة إن حاولت قتلي". ولكن "بريدجيت" فاتها شيء لم تعمل له حساباً!

— تظاهرت "بريدجيت" بأن النوم يغالبها فهمست في صوت متراخ يدب فيه النعاس، وفي كلمات متقطعة وهي تتطلع إلى "وينفليت" بعينين نصف مطبقتين: — نعم... إنني ناعسة... ناعسة جداً...!

وأومات الآنسة "وينفليت" برأسها إيجاباً...

ومضت "بريدجيت" ترقب المرأة العجوز بنظرة مختلصة من عينين تكادان تنطبقان. وعادت "بريدجيت" تردد لنفسها: "إنني بالتأكيد نذرت لها... بل أنا أقوى منها بكثير... إنني شابة فتية وعضلاتي قوية، ومن المستحيل أن تتغلب عليّ هذه العجوز الهزيلة. ولكن يجب أن أغريها بأن تتحدث عن نفسها متفاخرة".

كانت الآنسة "وينفليت" تبتسم ولكنها كانت أشبه بالفهد وهو يكشر عن أنيابه قبل أن ينقض على فريسته ليمزقها.

وقالت "بريدجيت" لنفسها، وهي تتأمل هذه الابتسامة الشيطانية:

"إنها شيطان في صورة امرأة... لقد كنت أعرف أنها هي القاتلة... إنها امرأة نبذها خطيبها اللورد "هويتفيلد". فامتحن بذلك كرامتها، وأهان كبرياءها..."

وليس هناك أخطر من امرأة منبوذة مست كرامتها... إنها تنقلب وحشا لا يبغي إلا الثأر والانتقام... وهي بالتأكيد تريد أن تثار من "جوردون" فتتصرف كل هذه الجرائم وتحاول أن تنسبها إليه...^١

بهذا أخذت "بريدجيت" تحدث نفسها، وهي تنظر إلى الآنسة "وينفليت" من تحت جفניה المتراخين.

وعادت "بريدجيت" تخاطب الآنسة "وينفليت" بنفس الصوت الناعس المتراخي كأنما آتى النوم أثره:

— ما الذي دهاني؟.. إني أشعر بنعاس شديد... أشعر كأن قوتي بدأت تخور وتلاشى.

ورأت الآنسة "وينفليت" تدير البصر فيما حولها.

كان المكان خالياً من الناس، فقد توغلت المراتان في الغابة إلى مسافة بعيدة. ومدت الآنسة "وينفليت" يدها، وفضت اللقافة التي جاءت بها معها.. اللقافة التي قالت إن فيها ثياباً قديمة ستقدمها إلى امرأة عجوز فقيرة تقيم في كوخ في الغابة.

وكانت الآنسة "وينفليت" صادقة فيما ذكرته، فقد كانت اللقافة تضم حقيقة بعض الملابس القديمة. ولكن وسط الثياب كان هناك خنجر مخبأ...

وتناولت الآنسة "وينفليت" الخنجر، وقلبت في يدها، وفي عينيها نظرة رضاء وحشية. وعرفت "بريدجيت" الخنجر على الفور.

إنه الخنجر المراكشي الصنع نفسه الذي كان اللورد "هويتفيلد" يعرضه أمام الآنسة "وينفليت" صباح اليوم. وأدركت "بريدجيت" على الفور السر الذي جعل الآنسة "وينفليت" تلبس قفازاً في هذا اليوم القاطظ الشديد الحرارة.

إن بصمات اللورد "هويتفيلد" مطبوعة على مقبض الخنجر. ولهذا لبست الآنسة "وينفليت" القفاز؛ حتى لا تظهر بصماتها على المقبض، وتظل

بصمات "هويتفيلد" وحدها هي المطبوعة عليه، بذلك توجه إليه تهمة قتل "بريدجيت".

قالت "بريدجيت" لنفسها: «يجب أن أستدرجها إلى الكلام.. يجب أن أجعلها تعترف بكل جرائمها».

وهمست "بريدجيت" متظاهرة بأنها لا تقوى على الكلام بتأثير العقار المنوم:

— ما هذا الذي في يدك..؟ إنه خنجر.. اليس كذلك؟

وعندئذ ضحكت الأنسة "وينفليت". وكانت ضحكة رهيبة... ضحكة غير بشرية.. ضحكة شيطانية. وقالت في صوت كفحيح الأفعى:

— وهذا الخنجر لك يا "بريدجيت".. لقد جئت به معي لكي أقتلك! إني

أبغضك من كل قلبي..!

فقال لها "بريدجيت" متسائلة وعيناها شبه مغمضتين:

— أتبغضيني لأنني سأتزوج اللورد "هويتفيلد"؟

— أبغضك؛ لأنه نبذني وآثر الآن أن يتزوجك.. وهذا الخنجر هو الدليل القاطع

على أنه هو الذي قتلك.. لقد طلبت إليه صباح اليوم أن يريني الخنجر المراكشي ففعل، وانطبعت على مقبضه بصمات أصابعه، وسوف يكون مصيره إما الإعدام شنقاً، أو زجه في أحد مستشفيات الأمراض العقلية.

كانت الأنسة "وينفليت" تنظر إلى "بريدجيت" بعينين تقدحان شرراً، في حين

كانت "بريدجيت" ترقبها بعينين نصف مغمضتين متظاهرة بأن المنوم قد أنتج أثره. واستطردت المرأة تقول في ثورة وهياج:

— ولقد أحببته، ولكنه نبذني وطردني..! أبطرد ابنة الكولونيل "وينفليت"

وهو لا يعدو أن يكون شاباً وضيعاً أبوه بائع أحذية.. لكنني همت به غراماً.

أحسست بأنه شاب طموح، وتوقعت له مستقبلاً زاهراً... وها قد تحقق ما توقعت.

وتقلصت أصابع الآنسة "وينفليت" وهي تتكلم، وانقلبت سحنتها ومضت تقول:

- وأمضيت الليل والنهار والأعوام بعد الأعوام... أفكر في الوسيلة التي أثار بها لنفسي من أجل كبريائي وكرامتي. وأخيراً استقر رأيي على أن أرتكب بعض جرائم القتل... أقتل أناساً لا شأن لي بهم ولا دافع يحملني على قتلهم. حتى لا تتجه الشبهات نحوي. وفي الوقت نفسه أختار ضحاياي ممن وقع خلاف أو عدااء بينهم وبين "جوردون". وبذلك تتجه إليه الشبهات بمرور الوقت، ويعتقد الناس أنه هو الذي يقتل أعداءه.

وانكسبت على كتب الجريمة أدرسها بعناية، ومنها تعلمت كيف أفتح الباب الموصد بالمفتاح من الداخل، وذلك باستعمال كماشة رفيعة جداً أنفذها في ثقب القفل، وأدير بها عقب المفتاح، فيفتح.. وهذا ما فعلته مع "إيمي جيبس".. فتحت الباب بهذه الطريقة، ووضعت لها زجاجة طلاء القبعات، وتسليت خارجه من الغرفة، وباستخدام الكماشة كما قلت أمكنني أن أعيدها مغلقة بالمفتاح كما كانت.

وأرادت "بريدجيت" أن تستدريجها إلى الاعتراف بجرائمها فقالت تثني عليها:

- يا لها من فكرة رائعة! الحق أنك على غاية من الذكاء يا آنسة "وينفليت".
- بالتأكيد إنني غاية في الذكاء.. وقد اخترت "إيمي"؛ لأن "جوردون" غضب عليها وطردها من بيته، وبذلك يتوافر لديه دافع لقتلها.

- و"ليديا هورتون".. هل أنت التي قتلتها أيضاً؟

- بالتأكيد أنا التي قتلتها.. لقد حدث حوار بينها وبين اللورد "هويتفيلد"، ووجهت إليه "ليديا" كلمات قاسية، فغضب وثار.. ولكن "جوردون" كريم القلب فما إن مرضت السيدة "هورتون" حتى أخذ يبعث إليها بشتى الفواكه

أو عصيرها من حديقته، ومضيت أنا أزورها كل يوم لأطمئن عليها، ولكنني كنت أؤس لها "الزرنخ" في العصير وفي الدواء على غفلة منها.. وكنت أؤرد أمام المرضات أن السيدة "هورتون" تشكو مرارة في العصير، وأنها تعتقد أنه مسموم. وكنت أؤرد بهذا أن تردد المرضات هذه الكلمات أمام الآخرين، فإذا ماتت السيدة "هورتون" متسممة، ذكر الناس ما كانت تردده المرضات عن مرارة العصير.

– والآخر..؟ كيف قتلهم؟

– كان "كارتر" يعبر القنطرة عند منتصف الليل، وهو ثمل سكران، فتعقبته خلصة، ثم دفعته بكل قوتي، فسقط في النهر، وابتلعه الماء. وبالتأكيد فعلت هذا بعد أن ذهب إلى قصر اللورد وشتمه وسبه، وحتى يقال إن "هويتفيلد" قتله عقاباً له على ما لحقه من إهانات... وكذلك فعلت بذلك الصبي "تومي بيرس" فبعد أن طرده "هويتفيلد" من الخدمة في قصره اقترحت عليه أن يعينه فراشاً في المكتبة فوافق على الفور لما طبع عليه من طبخة القلب... وعهدت إلى "تومي" بتنظيف إحدى نوافذ الطابق العلوي، ثم سعدت إليه بعد برهة لتبين ما يفعل. ووقفت أتحدث إليه وهو آمن مطمئن ثم غافلته ودفعته من فوق حافة النافذة، فهو من أعلى إلى أرض الحديقة جثة هامدة.

– ولكن ما الذي جعلك تقتلين السيدة "بنكرتون"؟..

– آه! السيدة "بنكرتون" عليها اللعنة! إنها هي التي كشفت سري، فكان لابد أن تموت... لقد رأيتني أنظر إلى السيدة "هورتون" نظرة أدركت منها على الفور أنني أنوي قتلها، فقد قالت لي ضاحكة: "إن نظرتك الآن إلى السيدة "هورتون" تذكر المرء بنظرة الفهد وهو ينقض على فريسته"... وحدث مرة أخرى أن رأيت في عيني نفس النظرة وأنا أتطلع إلى الدكتور "هامبلباي"، فأعادت عليّ نفس العبارة، ووصفت نظرتي إليه بأنها شبيهة بنظرة الفهد وهو

يلتهم الطريدة. وأدركت من هذا أن شبهاتها بدأت تتجه إليّ.. وتيقنت من الامر حين عرفت أنها قررت أن تسافر إلى "لندن"، فعهدي بها أنها لم تغادر القرية في حياتها.

وتابعت الآنسة "وينفليت" الحديث بقولها:

– وتابعتها إلى "لندن" وركبت معها نفس القطار، بعد أن تنكرت، فوضعت على رأسي باروكة شقراء، ولبست نظارة سوداء ولففت عنقي بوشاح غطى جزءاً من وجهي. وحين نزلت من القطار، اقتفيت خطواتها، ولما رأيت أنها تسير في الطريق المؤدي إلى "اسكتلانديارد" قررت أن أقتلها.

وسألتها "بريدجيت":

– ولكن كيف قتلتها..؟ هل استأجرت سيارة ودهمتها بها؟

– كلا.. كان الأمر أسهل من هذا بكثير.

وضحكت الآنسة "وينفليت" ضحكة شيطانية وقالت:

– حين نزلت من الإفريز إلى قارعة الشارع رأيت سيارة مقبلة بسرعة، فتظاهرت بأنني أريد أن أحول دونها وعبور الطريق، وأنتي أريد أن أجذبها إلى الوراء، ولكن الحقيقة أنني دفعتها تحت عجلات السيارة فماتت لساعتها.

فقالت "بريدجيت" في استغراب:

– أكانت السيارة من طراز الـ "رولز رويس"؟ أي من نفس طراز سيارة اللورد "هويتفيلد"؟

– بل كانت السيارة من طراز آخر.

فقالت "بريدجيت" وقد استبدت بها الدهشة:

– إذن كيف تقدمت إحدى السيدات فشهدت أن رقم السيارة هو رقم سيارة اللورد "هويتفيلد" الـ "رولز رويس"؟

فاغرقت الآنسة "وينفليت" في الضحك، وقالت:

- كان هذا أيضاً من تدبيرى.. لقد شاهدت إحدى السيدات حادث المصادمة عند وقوعه، وفي مثل هذه اللحظات يكون الإنسان في حالة ذهول، فلما قلت لهذه السيدة إن السيارة من طراز الـ"رولز رويس" وافقت على الفور. ولما ذكرت لها رقم سيارة "هويتفيلد" وقلت إنه رقم السيارة التي صدمت المرأة المسكينة صدقتني، ومضت في الحال إلى الشرطي تدلي إليه بأوصاف السيارة ورقمها، مع أن الواقع هو أن شهادتها كلها كانت من وحي خيالي.

فقلت "بريدجيت":

- إنك شيطان في صورة إنسان.

فقلت الآنسة "وينفليت" في زهو وفخار:

- ولهذا عرفت كيف أثار لنفسى، ومصير "هويتفيلد" لابد أن يكون إما الإعدام شنقاً، وإما إيداعه مستشفى الأمراض العقلية.

واستطردت الآنسة "وينفليت" تقول:

- لقد كان من حسن حظي أن استطعت أن أقنع "لوك فيتز ويليام" بأن اللورد "هويتفيلد" هو الجاني، فقد حدث أن حضر "لوك" شجاراً بين "جوردون" وسائقه "ريفرز".. وفي صباح اليوم التالي وجد "ريفرز" قتيلاً، فوقع في روع "لوك" أن "جوردون" هو القاتل.

- ولكن ما الذي جعل "هويتفيلد" يكرر أمام "لوك" أن كل من يعاديه قد قتل، وكل من يخاصمه لابد أن يهلك؟ إن هذه العبارات هي التي جعلت "لوك" يعتقد أن "جوردون" هو القاتل فعلاً.

وأطلقت الآنسة "وينفليت" ضحكها الشيطانية وقالت:

- لقد جعلته يعتقد أنه قديس، وأن كل من يتناصبه العداء لابد أن يقضي نحبه في خلال أيام.

- وهل صدقك "جوردون"؟

- بالتاكيد صدقني .. خاصة بعد أن لاحظ أن كل من عاداه قد مات، فأنا بالتاكيد كنت أقوم بالقتل.

وفركت الآنسة "وينفليت" يديها في فرح وابتهاج، وعيناها تبرقان كأن فيهما جذوة من نار ثم قالت :

- والآن جاءت النهاية .. سأجز رقبتيك بهذا الخنجر، وتنسب الجريمة إلى "جوردون"، والدافع هو نقمته عليك؛ لأنك فسخت الخطبة.

ونفضت الآنسة "وينفليت" واقفة، وشهرت الخنجر في يدها، ودنت من "بريدجيت" وعيناها تقدحان شرراً. وبكل ما لديها من قوة، وبكل ما لها من شباب متقد وثبت "بريدجيت" وثبة الفهد الهائج، وانقضت على المرأة الأخرى في وحشية، وقبضت على رسغها الأيمن، وردتها خطوة إلى الوراء.

ذهلت الآنسة "وينفليت"، وأخذتها المباغته غير المتوقعة، ولكنها ما لبثت أن تماسكت، ودار بين المراتين نضال عنيف.

وقعتا على الأرض، فوثبتا واقفتين، ومضتا تتماسكان وتتدافعان.

كان لـ "بريدجيت" شبابها، وكان للآنسة "وينفليت" جنونها، والنضال بينهما صار محموماً، وطار الخنجر من يد الآنسة "وينفليت"، وسقط بعيداً عنهما.

وأخيراً استطاعت الآنسة "وينفليت" أن تتغلب على غريمتها، وأن تطرحها أرضاً. ثم جثمت على صدرها وامتدت أصابعها تلمس عنقها حتى أخذت بخناقها. وصرخت "بريدجيت" مستنجدة .. صرخت بكل قوتها، صرخت مرة بعد مرة .. ولكن من الذي يمكن أن يخف إلى نجدتها وهي هنا في جوف الغابة؟ وعادت تصرخ، وتصرخ وأصابع القاتلة تضيق حول رقبته، وتضغط، وتضغط.

أما الصرخة الأخيرة فقد ماتت في حلقتها تحت ضغط الأصابع الخائقة.

كان "لوك" معجباً بالمفتش "باتل" فقد كان المفتش معروفاً بالانزان والذكاء وحصافة الرأي. وتبادل الرجلان التحية، ثم قال "باتل":

– لقد جئت معي بالضابط "جاكسون"، وعهدت إليه بمراقبة اللورد "هويتفيلد".

فقال "فيتز ويليام":

– حسناً فعلت، فقد يكتشف أن رجال "اسكتلانديارد" في أعقابه فيبادر إلى الفرار.

– ولكن أموقن أنت أن اللورد "هويتفيلد" هو طريدتك المنشودة؟

– كل اليقين... وحسبي أنه ردد أمامي عبارات تكاد تكون اعترافاً صريحاً.

وهم "لوك" بأن يسرد على المفتش "باتل" تفاصيل الأحداث لولا أن بادره هذا بقوله:

– لا داعي لذلك، فقد روى لي السيد "ويليام" كل التفاصيل.

– حسبي إذن أن أقص عليك الأحداث الأخيرة التي جرت بعد مقابلتي للسيد

"ويليام". وحين فرغ من روايته سأله "باتل":

– قلت إنه كان في هذا الصباح ممسكاً بالخنجر المراكشي، فهل لوح به بطريقة

توحي بالتهديد؟

– لا، ولكنه كان يتحسس النصل المرفف بطريقة تدل على الإعجاب

الجنوني.

واستطرد المفتش "باتل" قائلاً في ثقة:

– أعتقد أنه في وسعك يا سيد "فيتز ويليام" أن تطمئن إلى سلامة الأنسة

"كونواي"، فسأمر أحد رجاله بأن يتولى حراستها، وفي الوقت ذاته سيكون

"جاكسون" دائماً في أعقاب اللورد.

وسأله "لوك" :

– أترك في حاجة إليّ الآن؟

فأجاب "باتل" :

– لا.. ولكنني سأحتاج بالتأكيد إلى معونتك فيما بعد.

وتطلع "لوك" في ساعته ثم قال :

– حسناً.. سأذهب الآن إلى مقابلة "بريدجيت"، فما تزال أمامي فسحة من

الوقت قبل موعد الغداء.

وتصافح الرجلان. ومضى "لوك" إلى بيت الأنسة "وينفليت" وقبل أن يشرف "لوك" على بيت الأنسة "وينفليت" بعشرات من الأمتار لمح السيدة "هامبلباي" قادمة على نفس الإفريز. وما إن رآته حتى أقبلت عليه تصافحه في حرارة. وقالت :

– لقد ظننت أنك رجعت إلى "لندن".

فأجاب :

– لا.. كل ما هنالك أنني غادرت قصر اللورد "هويتفيلد"، ونزلت في فندق "الأجراس".

وسأله :

– و"بريدجيت"؟ لقد بلغني أنها غادرت القصر.

فأوما "لوك" إيجاباً، فقالت السيدة "هامبلباي".

– إني سعيدة بأنها تركت القرية.

فقال :

– ولكنها لم تتركها.. إنها مقيمة مؤقتاً في بيت الأنسة "وينفليت".

وما إن سمعت السيدة "هامبلباي" هذا الرد حتى هتفت :

– مقيمة عند الأنسة "وينفليت"؟ ولكن لماذا؟

وأخذتها رعدة خفيفة، واستطردت :

– السيد "فيتز ويليام" ..! أتوسل إليك أن تطلب إليها مغادرة هذا البيت في الحال .. إن هذه المرأة .. الآنسة "وينفليت" .. امرأة شريرة .. إن لها نظرة قاتلة، من ترميه بها لايد أن يموت .

وعند هذه الكلمات ذكر "لوك" ما سبق أن حدثته به السيدة "بنكرتون" حين التقت به في القطار . لقد قالت له : إن في القرية شخصاً له "نظرة قاتلة" تقتل كل من تستقر عليه .

المرأتان ترددان نفس الكلمات .. السيدة "بنكرتون" أولاً ثم السيدة "هامبلباي" الآن . واستطردت :

– ولست أنا وحدي التي تقول هذا .. إن السيدة "بنكرتون" هي الأخرى تعرف ذلك ... فقال لها "لوك" في اقتضاب :

– اطمئني .. سأعمل بما تصحين .

وأسرع الخطى متجهاً إلى بيت الآنسة "وينفليت" .

لقد قالت له السيدة "بنكرتون" في القطار، ثم السيدة "هامبلباي" الآن .. إن في القرية شخصاً له عين شريرة .

إن السيدة "بنكرتون" لم تقل قط إن هذا "الشخص" رجل، وإنما هو الذي وقع في روعه أنه رجل، فاتجه بشبهاته إلى الساحر المجنون "الزويرثي" ثم إلى اللورد "هويتفيلد" مع أن كلمة "شخص" تنطبق على الرجل والمرأة على السواء .

كان هناك صوت خفي يهيب بـ "لوك" من أعماق قلبه "أسرع .. أسرع .. فإن الآنسة "وينفليت" هي السفاحة الخفية، فلو أنك تأخرت لقتلت حبيبتك "بريدجيت" وطرق "لوك" باب الآنسة "وينفليت" بشدة .

واقبلت الوصيفة تجري . وتطلعت إليه في ذهول، وفي لهفة سألها عن

"بريدجيت" . وأجابت :

– لقد أخبرتني الآنسة "وينفليت" أن الآنسة خرجت .. لحظة واحدة حتى أستدعي سيدتي .

ورجعت إليه بعد لحظات تقول :

– لقد خرجت السيدة أيضاً، فإني لم أجدها .

وسألها :

– وأين ذهبتا؟

– لا أدري يا سيدي .

– وفي أي طريق سارتا؟

– لو أنهما خرجتا من الباب الامامي لرأيتهما فقد كنت في الردهة، فلا بد أنهما خرجتا من الباب الخلفي، وهذا الباب لا يؤدي إلا إلى طريق الغابة .

وانطلق يجري إلى الغابة، والخوف أخذ منه .

ورأى فلاحاً يحرق أرضه، فأقبل عليه يسأله :

– ألم ترَ سيدتين منذ فترة وجيزة ..؟

وأجابه الفلاح :

– نعم .. إنها سيدة عجوز وسيدة شابة .. لقد دخلتا الغابة من هذا الممر .

وطار إلى داخل الغابة، وهو يكاد يجن .

إنه لا يسمع صوتاً، فهل ظفرت هذه القاتلة المجنونة بـ "بريدجيت" ، وفتكت بها؟

سار هنا وهناك .. وعينه تدوران في كل مكان، وسمعه مرهف يتنسم صوتاً أو حركة .

وأخيراً سمع الصرخة المدوية .. صرخة الاستنجاد .

– النجدة .. النجدة !

ووثب قافزاً وسط الأشجار المتكاثفة .

ولمح "بريدجيت" طريحة على الأرض، والآنسة "وينفليت" جاثمة فوق صدرها، وأصابعها حول عنقها، وهي تحاول أن تخنقها.
وبعد صراع قصير استطاع أن يخلي الأصابع عن عنق "بريدجيت". ولكم الآنسة "وينفليت" بكل قوته لكمة أفقدتها الرشد وطرحتها أرضاً.

- 23 -

قال المفتش "باتل" يشرح للورد "هويتفيلد" حقيقة الموقف:
- لقد ثبت لنا من التحريات التي قمنا بها أن الجنون وراثي في أسرة "وينفليت"، وبحكم رابطة الدم انتقل الخبل إلى الآنسة "وينفليت" وما زادها جنوناً الصدمات التي نزلت بها، وكانت الصدمة الأولى هي ضياع ثروة الأسرة، أما الصدمة الثانية فكانت فشلها في الحب حين فسخت أنت الخطبة.
وقالت "بريدجيت" تسأل للورد:
- أرجو يا "جوردون" أن تكشف لنا عن السبب في فسخ هذه الخطبة.
وأجاب اللورد:
- كان لدى "هونوريا وينفليت" عصفور كناريا تحبه وتولع به، وقد اعتادت أن يلتقط من بين شفتيها فتات السكر. وحدث يوماً وهو يتناول السكر أن نقرها، فما كان منها إلا أن أمسكته في وحشية، وقصمت رقبتة. وكان مشهداً بشعاً لم تحتمله أعصابي فبادرت على الفور إلى فسخ خطبتها.
فقال "باتل":

- كانت هذه هي البداية، فمنذ هذه اللحظة وهي تفكر في الثأر منك، وخطر لها في أول الأمر أن تقتلك، ولكن موتك ما كان ليسفي غليلها، ولهذا استقر رأيها على أن تجعلك تتعذب وتقاسي، فقررت أن ترتكب عدداً من جرائم القتل، بحيث تتجه الشبهات إليك باعتبار أنك أنت القاتل.

وتدخلت "بريدجيت" في الحديث قائلة:

– وكانت من الدهاء بحيث أدخلت في روعك أنك قديس، فكل من يعاديك لابد أن يموت. وكان هدفها من ذلك أن تردد أنت في أحاديثك هذا المعنى، فيشتد الاشتباه في أنك القاتل.

وقال اللورد "هويتفيلد" مشدوهاً:

– إنني لا أستطيع أن أصدق هذا!

وساله المفتش "باتل":

– إنك قلت منذ قليل إنك تلقيت اليوم رسالة تليفونية؟

فقال "هويتفيلد":

– نعم... قبل الظهر اتصلت بي تليفونياً سيدة ذات صوت أجش مختنق، وطلبت إليّ أن أذهب في الحال إلى الغابة؛ لأن "بريدجيت" تريد أن تتحدث إليّ، وأنها ستكون في انتظاري بقرب الينبوع.

فقال "باتل":

– كانت في الواقع خطة محكمة، فالمرأة التي حدثتك هي الآنسة "وينفليت" نفسها، وكان غرضها أن يراك الناس جميعاً داخلاً إلى الغابة، وبعدها سيعثرون على الآنسة "بريدجيت كونواي" وقد حزت رقبتها. وإلى جانبها خنجر مملوئاً بالدماء، وعلى مقبضه بصمات أصابعك.. وبذلك تتحقق خطتها الجهنمية فتؤخذ أنت بجرائم لم تقتترفها.

فغمغم اللورد:

– يا لها من شيطان!!

التفت "فيتز ويليام" إلى "بريدجيت" قائلاً:

– والآن حدثيني كيف خامرتك الشكوك في أن الآنسة "وينفليت" هي القاتلة الخفية، وليس اللورد "هويتفيلد"؟

وراحت "بريدجيت كونواي" تروي قصتها قائلة:

— كان ذلك عندما أخبرتني أنت أن اللورد "هويتفيلد" هو القاتل.. إنني أعرف "جوردون" جيداً، وقد عملت معه عامين وأعلم يقيناً أنه لا يؤدي فراشة، فكيف يقدم على قتل الناس "بالجملة" على هذه الصورة البشعة؟ ثم إنك ذكرت لي ما حدثتك به الآنسة "وينفليت" عن فسخ الخطبة بينهما، وأنها هي التي فسختها؛ لأن "جوردون" قصم عنق عصفور الكناريا. إنه لا يمارس حتى هواية الصيد لكيلا يقتل الطيور والحيوانات، فكيف إذن يقطع رقبة العصفور؟

وقلت لنفسني: لِمَ لا تكون هذه الرواية اكذوبة محضة..؟ لِمَ لا تكون الآنسة "وينفليت" هي نفسها التي دقت عنق الكناريا..؟ ولِمَ لا يكون "جوردون" هو الذي فسخ الخطبة؟ إذن فالآنسة "وينفليت" كاذبة في رواية هذه القصة. وساءلت نفسي: "ولكن لماذا تكذب؟"

إن الآنسة "وينفليت" من أسرة عريقة، و"جوردون" من أسرة وضيعة، ففسخ الخطبة إهانة بالغة لكبريائها. وهذه الإهانة تدفعها إلى الانتقام، والمرأة حين تجرح كرامتها تنقلب وحشاً ضارياً.

وقلت لنفسني: إنها هي التي جعلتك يا "لوك" تشبه في اللورد "هويتفيلد" وتعتقد أنه هو القاتل، مع أنك كنت موقناً قبل ذلك—أشد اليقين—أن "الزويرثي" هو القاتل خاصة بعد أن رأيته عائداً من حديقة السحرة عند منتصف الليل ويدها ملطختان بالدم ثم عثورك على السائق "ريفرز" مقتولاً في نفس الليلة. واستطردت "بريدجيت" تقول:

— نعم.. كانت هذه المرأة "وينفليت" هي التي جعلتك ترتاب في اللورد فقلت لنفسني: "ولم لا يكون هذا أيضاً حلقة جديدة في سلسلة الأكاذيب التي ترددها الآنسة "وينفليت".. اكذوبة جديدة تدعم بها الشبهات ضد "جوردون".

واستعرضت الجرائم التي ارتكبتها.. كانت كلها سهلة من الهين عليها أن

تقتربها. ذ"إيمى جيبس" كانت تعمل وصيفة في بيتها عندما تناولت طلاء القبعات خطأ وماتت، فلا أسهل على الآنسة "وينفليت" من أن تدس لها الطلاء بدلا من شراب السعال. و"تومى بيرس" عندما سقط من فوق حافة النافذة إلى الحديقة وكان ينظف نافذة المكتبة التي تعمل الآنسة "وينفليت" أمينة لها، فمن السهل عليها أن تدفعه بيدها وهو في غفلة عنها. و"كارتر" أمره حين أيضاً، إذ يكفي أن تتعقبه في جوف الليل وهو عائد إلى داره مخموراً فتدفعه إلى النهر وهو يعبر الجسر. وكان سهلا عليها أيضاً أن تقتل السائق "ريفرز". أما الوحيد الذي لم استطع أن ألتمس لمقتله تعليلا، فهو الدكتور "هامبلباي" ولكنني قلت لنفسي لعلها بريئة من قتله، ولعله فعلا مات متسماً بالغرغرينة.

وصمتت "بريدجيت" برهة، ثم استطردت تقول:

– طافت كل هذه الخواطر في ذهني، متشابكة متداخلة، وأنا أسمعك تتهم اللورد "هويتفيلد". وساءلت نفسي إذا كان "جوردون" لم يرتكب شيئا من هذه الجرائم فمن الذي اقترفها إذن..؟ وجاءني الجواب، لابد أن يكون القاتل شخصاً يحقد على "جوردون" حقداً شديداً، ويريد أن تتجه إليه الشبهات. ثم تساءلت: ومن يكون هذا الحاقد الذي يهمله أن يذهب "جوردون" إلى المشنقة..؟ كان الرد هو "هونوريا وينفليت"، ولا أحد سواها، فهي التي تحقد عليه لأنه نبذها، وفسخ خطبته لها كما سبق أن حدثني.

وتابعت "بريدجيت" الحديث بقولها:

– وعندئذ تذكرت ما رددته السيدة "بنكرتون" في حديثها، حين ألحت إلى أن القاتل "رجل" له نظرة شريرة.. وهدم هذا التلميح شبهتي في الآنسة "وينفليت". إذن فلا يمكن أن تكون الآنسة "وينفليت" هي مقترفة هذه الجرائم. غير أنني عدت أقول لنفسي وما يدريني أن السيدة "بنكرتون" قالت إن القاتل "رجل" له نظرة شريرة..؟ لعلها قالت إن القاتل "شخص" له نظرة شريرة. وكلمة "شخص"

تنطبق على المرأة والرجل على السواء، وعندئذ لم تعد تخامرني ذرة من الشك في أن الآنسة "وينفليت" هي السفاحة القاتلة ولهذا استقر رأيي على أن أحاول أن أوقع الآنسة "وينفليت" في المصيدة، وأن أضبطها متلبسة.

وسرت الرعدة في بدنها، استطردت تقول:

– يالله! كان الأمر رهيباً يا "لوك" .. كانت لها وهي تحاول قتلي ضحكة شيطانية. جعلت الدم يتجمد في عروقي.

فقال "لوك":

– أنا لا يمكن أن أنسى ما حدث .. لقد وصلت في اللحظة الأخيرة لأنقذك من يديها .. حين انقضضت عليها، كانت أصابعها القوية تحيط بعنقك، وأنا أحاول أن أزيحها عن صدرك وأن أفك أصابعها عن عنقك .. لقد كانت لها قوة شيطان هائج .. لقد منحها الجنون والهباج قوة لا تقاوم.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها ...

سارع في إرسال طلبك !

1	ابنة الفراغة	23	جريمة على ضفاف النيل
2	جريمة الفندق	24	الجرائم الثلاث
3	أخطاء القضاء	25	جريمة في بيت الطالبات
4	أدلة الجريمة	26	جريمة في الجو
5	الإرث الدامي	27	جريمة في الصحراء
6	أصابع الاتهام	28	جريمة في قطار الشرق
7	امراة خطيرة	29	جريمة قتل
8	بيت الاحلام	30	الجريمة الكاملة
9	بواعث الجريمة	31	امراة في مازق
10	بيت الاهوال	32	الجريمة المستحيلة
11	التضحية الكبرى	33	الجريمة المعقّدة
12	الضحية	34	الشاهدة الوحيدة
13	الجثة التي اختفت	35	جزيرة الموت
14	الجثة الثانية	36	جنون الانتقام
15	جثة في المكتبة	37	الحادث
16	الجريمة الاخيرة	38	الحب الذي قتل
17	جريمة أم	39	الرجل الرابع
18	جريمة فنية	40	ذات القناع الاسود
19	جريمة بلا شهود	41	ذات الوجهين
20	الجريمة تدق الباب	42	رجل بلا وجه
21	اللغز المثير	43	غانية باريس
22	جريمة عائلية	44	رصاصة في الرأس

القصاص	71	رعب في المدينة	45
القصر الرهيب	72	الزائر الغامض	46
القضية الكبرى	73	ساعة الصفر	47
الكأس الأخيرة	74	السر الرهيب	48
كلب الموت	75	ساحر النساء	49
ليل ليس له آخر	76	سر القصر الكبير	50
مأساة ذات ثلاثة فصول	77	سر المنبهات السبعة	51
الماضي الرهيب	78	سيدة القصر	52
المتهم البريء	79	شاهد للتحقيق	53
التهمة البريعة	80	الشاهد الصامت	54
المصيدة	81	نقطة الدم	55
مغامرات بوارو	82	الشيخ القاتل	56
الثعلب	83	شرح في المرأة	57
الموت المقنع	84	الشیطان امرأة	58
موعد في بغداد	85	إخناثون	59
موعد مع الموت	86	الطائر الجريح	60
نادي الجريمة	87	الطائرة المفقودة	61
الوصية المفقودة	88	الطيور السوداء	62
الجريمة المزدوجة	89	عدو بلا وجه	63
الياقوتة الحمراء	90	العميل السري	64
جريمة بلا شك	91	العنكبوت	65
غريم بوارو	92	الفخ	66
وجه من الماضي	93	القاتل الرابع	67
خاتمة المأساة	94	القاتل الغامض	68
الحصان الشاحب	95	القاتل والمقتول	69
		قاتل المليونير	70